هذا هو
رَسُوْلُ الله مُحَمّدٌ

جمع وإعداد
أسامة محمد الحمصي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، القائل في كتابه العزيز : **يا أيُّها النبيُّ إنّا أرْسَلْناكَ شاهِدَا ومُبَشِّرَاً ونَذِيْرا ودَاعِيَاً إلى اللهِ بإذْنِهِ وسِرَاجَا مُنيرَا** . الأحزاب : 45 ـ 46 .
والصلاة والسلام على رسول الله ، خير خلق الله أجمعين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغُرّ الميامين ومن سار على هداه ، وتمسّك بسُنّته إلى يوم الدين .

وبعد :

كانت بداية فكرة هذا العمل ، أنّي شاركتُ بمداخلات في حلقات عدّة في إحدى القنوات الفضائيّة ، في برنامج حول نُصرة الرسول . ثمّ فكّرتُ أن أجمع بعض هذه المشاركات في ما تعارف عليه الناس اليوم باسم (المَطْوِيّة) ، فهي سريعة القراءة ، وذات فوائد .

ثمّ وسّعتُ الموضوع ، وعرضتُه على الإخوة الفضلاء :

- الدكتور : محمد شكور الميادينى / أبو محمود .
- الدكتور : محمود حسين الحريري / أبو سليمان .
- الأستاذ ـ المهندس : محمد عادل فارس / أبو عبيدة .

فأفدتُ كثيرا من ملاحظاتهم التي أبدوها . شكر الله لهم ، وجزاهم الله كلّ خير .

فكان هذا الجهدُ ، مساهمة ، في نُصرة النبيّ الرسول الحبيب الشفيع ، سيّدنا محمد .

الاثنين : 11 من ربيع الأول 1427
الموافق : 10 من نيسان 2006 .

عمان ـ الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ و كفى بالله شهيدا ۝ محمد رسول الله ﴾

هذا هو رسول الله محمد ﷺ

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، الـرحمن الـرحيم ، مالك يـوم الـدين . وأفضل الصـلاة وأتمّ التسـليم على حـبيب القلـوب ، وقـرّة العيـون ؛ سـيّدنا محمد ﷺ ، عبد الله ونبيّه ورسـوله ، المبعـوث رحمة للعـالمين ، خـير خلق الله أجمعين ، وخـاتم الأنبيـاء والمرسلين .

يقـول الله ﷻ في محكم التنزيل : ﴿ لَقَـدْ منَّ اللـهُ على المُؤمـنينَ إذْ بَعَثَ فيهمْ رسـولاً من أنفسِـهم يتلو عليهم آياته ويُـزكّيهم ويُعلّمهم الكتـابَ والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مُبِيْن ﴾. سورة آل عمران : 164 .

ويقول النبيّ ﷺ : " **إنّ مَثَلِي ومَثَلَ الأنبياء مِنْ قَبْلِي ، كَمَثَـلِ رجـلٍ بـنى بيتاً فأَحْسَنَه وأجْمَلَه ، إلاّ موضع لَبِنة من زاوية ، فجعل الناسُ يطُوفون به ، ويَعْجبون به ، ويقولون : هلاّ وُضِـعَتْ هـذه اللبِنة ؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النَبِيِّين** " . رواه البخاري .

وبعد :

طالعتنا وسائل الإعلام مع نهاية العـام الهجـري 1426 ، الموافق لنهاية العـام الميلادي 2005 ، أنّ بعض الصحف في بلاد الدانمارك وغيرها ، قد نشرت رسوماً ، قُصد منها الإساءة لمقام سيّد الخلق أجمعين ، سيّدنا محمد !! ﷺ.

وإنّي أتمنى ، وأهيب بوسائل الإعلام ، أن تسمي الرسوم المسيئة بـ : الرسوم المسيئة للبشريّة ، فالذين أساؤوا إنما أساؤوا للبشرية عامّة ، ولأنفسهم خاصّة 000

ولكنّ مقام رسول الله ﷺ لا تدركه الإساءة . قال ﷻ : ﴿ إنّا كَفَيْناك المُسْتَهْزِئين ﴾ . الحجر : 95 .

وقد ذكرت كتب السيرة كيف كانت مصارع أولئك النفر ـ من كفّار قريش ـ الذين أرادوا النيل من مقام ذلك النبيّ العظيم ﷺ . (انظُر: فصل في ذِكْرِ هلاك المستهزئين بمكة) . **و**قال ﷻ : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ . المائدة : 67 . وقال ﷻ : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ . الشرح : 4 . (فما من أذانٍ يُرْفَع إلاّ رُفِع فيه اسمُ النبيّ ﷺ . ولا صلاة

يؤدّيها مُسْلِمٌ إلاّ سَلَّم على هذا النبيّ ، وصلّى وبارك عليه وعلى آل بيته الأخيار الأطهار وأصحابه الأبرار) . وقال عن معاديه ومبغضه : إنَّ شانئك هو الأبتر . الكوثر : 3 .

في كتاب السيرة النبوية لابن هشام / ذكر ما لقي رسول الله من قومه من الأذى " قال ابن إسحاق : كانت قريش إنّما تُسمّي رسولَ الله مُذَمَّما ، ثُمّ يسُبّونه ، فكان رسول الله يقول : **ألا تعجبون لِما يصرف الله عني من أذى قريش ! يسُبُّون ويهجُون مُذَمَّما ، وأنا محمد** " . .

يا ناطحا جبلا يوما ليوهنه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

إنّ الذين قصدوا الإساءة لمقام هذا النبيّ العظيم ، لا يعرفون صفاته الحقيقيّة ، ولو عرفوه ، لأحبّوه ولاتبعوه ، ولكنّهم أساؤوا لصورة مشوّهة مطبوعة في عقولهم ، صورتها لهم آلة الإعلام العلمانيّ الملحد الذي يسيطر عليه غالبا أبناء القردة والخنازير من اليهود ومن سار في فلكهم .

إنّه ليس بمستغرب هذا الفعل القبيح من أحفاد قتلة الأنبياء ، الذين تطاولوا على مقام الألوهيّة فقالوا : إنّ اللهَ فقير ونحن أغنياء . آل عمران : 181 . وقالوا : يدُ الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا...وادّعوا لله ولدا ، قال مُخْبِرا عنهم في كتابه العزيز : وقالت اليهودُ عُزيْرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله . التوبة : 30 . كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الأرض فسادا ، والله لا يحبّ المُفسدين . المائدة : 64 .

وأيّ إنسان يعرف تعظيم الأنبياء ، إن لم تظفر نبوّة محمد وعظمته عنده بالتعظيم ! .

وماذا يُساوي إنسان لا يُساوي أعظم إنسان شيئا لديه !!؟ .

إنّ تعظيم النبيّ محمد لنافع لمن يُقدّرونه ، وليس بنافع له أن يُقدّروه ؛ لأنّه في عظمته الخالدة لا يُضار بإنكار ، ولا ينال منه بغي الجُهلاء ، إلاّ كما نال منه بغي الكفّار من معاصريه .

وصدق من قال : لا يعْرِف فضلَ ذوي الفضل إلا ذو فضل .

حسبنا من عَظَمَة نبيّنا محمد أن نُقيم البرهان على أنّ محمدا عظيم في كلّ ميزان . فهو عظيم عند الله ، وعند الملائكة ، وعند الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام

أجمعين ــ ، وعند المُنصـفين من الخلق أجمعين . وعظيم في مـيزان الـدين . وعظيم في ميزان العلم . وعظيم في ميزان الشعور .

ولكنْ رُبَّ ضـارّةٍ سـارّة ، فَفَعْلَتُهم تلك ، وحّـدت هـذه الأمة ، وأيقظت النـائمين منها ، وأظهـرت الخيرية في أمّة الخـير ، الـتي هبّت كلها جميعا لنصـرة هـذا النـبيّ الحبيب العظيم الشفيع .

محبة النبيّ ولزوم طاعته

قـال : قلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّون اللـهَ فـاتَّبِعُوْنِي يُحْبِبْكُمُ اللـهُ ويغْفِـرْ لكم ذُنوبَكُم واللهُ غفورٌ رَحيمٌ قُلْ أطيعوا اللهَ والرسولَ فإنْ تَوَلَّوا فـإنَّ اللــهَ لا يُحبُّ الكافرين . آل عمران : 31-32 .

وقال : فلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُـونَ حتّى يُحَكِّمُـوك فيما شَـجَرَ بينهمْ ثُمَّ لا يَجدوا في أنْفُسِهم حَرَجاً ممَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيما . النساء : 65 .

وقال : النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفِسِهِم . الأحزاب : 6 .

وقال : وما كانَ لِمُؤْمنٍ ولا مُؤْمِنةٍ إذا قَضَى اللهُ ورسولُه أمْراً أنْ يكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ منْ أمْرِهِمْ . الأحزاب : 36 .

وقال : وما آتاكُمُ الرسولُ فَخُذُوْهُ وما نَهَاكُم عنه فانْتَهُوا . الحشر : 7 .

وقال : **" ما نهيتُكم عنه فاجْتَنِبُوْهُ ، وما أمرتُكم به فأْتُوا منه ما استطعتم "** . رواه البخاري ومسلم . وهذا الحديث من قواعد الإسلام العظيمة المشهورة .

وفي الصحيح عنه أنّه قال : **" والذي نَفْسِي بيده ، لا يؤمن أحدُكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده ، وولده ، والناس أجمعين "** . وقال : **" لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبّ إليه من نَفْسِه "** .

ألا وإنّه لمن المعلوم بالضرورة ، أنّ من تمام محبَّته ، طاعَتَه واتّباعه ، وأن يكون الأسوة لنا في جميع مناحي حياتنا . ومنْ يَعْصِ اللهَ ورسولَه فقدْ ضَلَّ ضلالاً مُبِيْنا . الأحزاب : 36 .

ولكن ! لماذا يستغرب الناسُ حُبَّ المسلمين لنبيهم ؟ وكيف لا نحبه وهو سبب هدايتنا إلى الدين القويم ، والصراط المستقيم ؟! كيف لا نحبّه وهو أولى بنا من

أنفسنا ! كيف لا نحبه ، وهو الذي لم يترك خيرا إلا أرشدنا إليه ، ولا شرا إلا حذّرنا منه 000

كيف لا نحبه ، وقد أخبرنا أن جميع الناس يوم القيامة ، الرّسلَ والأنبياء ، فمن دونهم ، كلّ منهم يقول : اللهمّ نَفْسِي00 اللهم نفسي 000إلاّ الحبيبَ الشفيع ، إلاّ صاحب الحوض المورود والمقام المحمود ، يقول : يا رب يا رب ؛ أمّتي00أمّتي00

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته عند الصراط إذا ما زلّت القدم

كيف لا نحبه ، ونحن نقــرأ قــول الله مولانا : ولســوف يعطيك ربك فترضى . الضحى : 5 ، ونحن نعلم أنّ النبيّ لا يرضى حتى يخرج جميع العصـاة من أمّته من النار ويدخلهم الجنّة .

كأنّك من كلّ النفوس مركّب فأنت إلى كل النفوس حبيب

وكيف لا نُحبّ من أحبّه الله وفضّله على سائر خلقه واصطفاه ؟! .

ومن أولى بالحبّ من رسول الله ؟! .

هذا هو رسول الله

سّيدي رسول الله : إنّ مَثَلِي ومَثَلك ، كَمَثَلِ حكيمٍ رأى القمر ليلة البدر .. فقال : أيّها البدر ، ماذا أقول لك ! أأقول : رَفَعَكَ الله ... لقد رفعك ؛ أأقول : كَمَّلَكَ الله ... لقد كمّلك ؛ أأقول : نَوَّرك الله ... لقد نوّرك ؛ أَأَقول : جمّلك الله ... لقد جمّلك . وأنت يا سيّدي يا رسول الله ...لقد رفعك الله ورفعنا لك ذكرك . الشرح : 4 ، ولقد كمّلك وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم . القلم : 4 ، وأنت نورٌ مبين قدْ جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبِيْن . المائدة : 15 ، ولقد جمّلك ربُّك ، فقد أُعطيتَ الجمال مع الهيبة . ولقد كُنتَ مُمَثِّلا لتعاليم القرآن تمشي على هدى بين الخلائق أجمعين .

وُلِد سيّد الكائنات ، فوُلِد الخير ، وابتهجت بمولده السماء ، واحتفلت به الأرض .

وكان إيذاناً بقدوم العدل ، وسيادة الحقّ ، وانتشار النّور والهدى ، وإشعاراً برحيل الطواغيت ، وانتهاء الوثنيّة ، وانحسار الظلم والظلام .

كان هناك عالَمٌ يتطلع إلى من يُنقذه من الضلال وحمأة الظلم والجاهليّة ، فأرسل الله محمّدا . يا أيّها النبيُّ إنّا أرسلناكَ شاهِدا ومُبَشِّرا ونذيرا وداعِيَا إلى اللهِ بإذْنِه وسِرَاجا مُنِيْرا . الأحزاب : 45-46.

لقد قالت حوادث الكون : كانت الدنيا في حاجة إلى رسالة ... ولقد قالت حقائق التاريخ : كان محمد هو صاحب تلك الرسالة . لقد خلق الله محمدا ليكون رسولا مُبشرا بدين ، **رحمة للعالمين ، ورحمة للمؤمنين .**

إنّه محمد ، ابن عبد الله بن عبد المطلب (شيبة الحمد) بن هاشم . ومن ولد عدنان ومن ولد إسماعيل ابن إبراهيم الخليل . أُمّه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قِبَل أمّه وأبيه .

اختاره الله من أزكى القبائل ، وأفضل البطون ، وأطهر الأصلاب . روى مسلم بسنده عن رسول الله أنه قال : " **إنّ الله اصطفى كِنَانَة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم** " .

وُلد عام الفيل . وبعثه الله على رأس أربعين سنة ، فمكث في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة يوحَى إليه ، وفي المدينة عشرا . وتوفي وهو ابن ثلاث وستين .

يقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي :

(محمّد) مُجمّع المحامد :

من هذه الجولة اللغويّة الاشتقاقيّة السريعة ، نعرفُ أنّ (محمّدا) في الاشتقاق اسم مفعول من الرباعيّ (حَمَّد) ، وأنّه الذي تواصل عليه حمدُ الحامد وثناء المادح ، وهو لنْ يكون محمّدا إلاّ إذا كثُرِت خصالُه المحمودة ، وصفاته المحبوبة ، وأفعاله المرضيّة . وهذا المعنى العظيم متحقق في حبيبنا محمد ، فالحمد والثناء متواصلٌ مُستمرّ عليه من كلّ من حَمِده وأثنى عليه ، بسبب تواصل صفاته وأفعاله وخصاله وشمائله وسجاياه ...إنّ **محمّدا** حامِدٌ أولا ؛ يقوم بالحمد والثناء ، وهو **محمود** ثانيا : يحمده الحامدون الآخرون لعظمة صفاته ، وهو **حَمَّادٌ** ثالثا ؛ أي : كثير الحمد لا يكاد يتوقّف عنه ، وهو **أحمد** رابعا ؛ أي : أي أكثر حمدا من غيره . وبما أنّ الاشتقاقات الأربعة متحققة فيه فهو **مُحَمَّدٌ** .   فهو الإنسان الكامل ، الذي جمع كلَّ الفضائل . وأنّه مجمّع الكمالات . (من مقال : محمد في القرآن / د . صلاح عبد الفتاح الخالدي ـ مجلة الفرقان ـ العدد الحادي والخمسون / بتصرف) .

الرحمة المُهداة

قال الله : لقدْ جاءكم رسولٌ مِنْ أنفسـكم عزيز عليه ما عنتّم حـريص عليكم بـالمؤمنين رؤوف رحيم . التوبة : 128 . عزيز عليه : أن تـدخلوا النـار ؛ أو أن تُصـيبكم أيّ مشـقة في دنيـاكم أو أخـراكم . حـريص عليكم : أن تـدخلوا الجنّة ، فهو رحمة للعـالمين ، وبـالمؤمنين رؤوف رحيم . وما جَمَـعَ اللـهُ لنـبيٍّ اسـمين من أسـمائه الحُسْـنى إلاّ لحبيبه وصـفوة خلقة نبينا ورسـولنا محمد . قـال : وما أرسـلناك إلا رحمة للعـالمين . الأنبيـاء : 107 . نَعَمْ ، **رحمة للعـالَمِين** : إنسـهم وجنهم ، الأولين ، والآخرين ، للأسـماك في البحـار ، والوحـوش في القفـار ، والطـير فـوق الأشـجار... رحمة للعالمين .

سـألتني ابنـتي وأنا أتكلم عن رحلـتي إلي الحج والعمـرة ، يا أبت : هل فـرحت كثيرا عندما كنتَ **قريبا** من النبي وسَلَّمتَ عليه !؟000

فقلت : **ومتى كان بعيدا ؟! فهو دائما قريبٌ حبيب** .

فلا إيمان لعبد حتى يكون الرسول أحبّ إليه من نفسه ووالده وولـده والنـاس أجمعين .

إن حب النـبي يملأ على كل مسـلم كيانه ، وإنّه لَحيّ في قلوبنا جميعا . ففي نهاية كلّ صلاة ، نخاطبه بكاف المخـاطب القـريب : السـلام عليك أيّها النـبيّ ورحمة الله وبركاته .

إنّ الرسولَ لَحَيٌّ فـي ضمـائرنا على الزمان ، يرى منّا ويستمعُ
وكأن ـ والله ـ في التنزيل قارئه يُحِسُّ صوت رسـولِ الله يرتفع

أيها الاخوة الكرام ، لِيَتَمَثّلْ كلُّ واحد منا أنّه يقف أمام النـبي ولْيخاطبْـهُ بتحية الإسلام : السـلام عليك أيها النـبي ورحمة الله وبركاته ــ كما نفعل في صـلاتنا ــ ولنكن على يقين أن النبي حيّ يرد علينا السلام . ولْنُبْقِ على هذه الصلة في كـلّ يـوم من حياتنا ما استطعنا .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : " **ما مِنْ أحدٍ يُسـلِّمُ عليَّ إلا ردّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام** " . رواه أبو داود بإسناد صحيح .

سيدي رسـول الله ، أشـهد يا حـبيب الله ، أنك قد بلغت الرسـالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق الجهاد ، حتى أتاك اليقين .

فجزاك الله عنا يا رسول الله خير ما جزى به نبيا عن قومه ، ورسولا عن أمته .

أخي الحـبيب ... يا من رضـيتَ بالله ربّا ، وبـالقرآن دسـتورا ، وبمحمد نبيّا ورسـولا ... إذا اشـتدّت بك يـوم القيامة الكُرُبـات والظلمـات ، وأمامك الصـراط منصوب على شفير جهنّم (وهو أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف – ولا بدّ لكلّ من كتب له

دخول الجنّة أن يجتازه) ، ورأيت من يأخذ بأيدي النـاس ويقـول : يا ربّ أمـتي أمـتي ، يـاربّ سَـلِّم سَـلِّم ، ورأيت نـورا منـيرا ، فأبشر واعلم أنّ صـاحب ذلك النـور البَهيّ ، والدعاء العُلويّ ، والصوت النَدِيّ ، هو نبيّك ورسولك وحبيبك وشفيعك رسول الله .

النبيّ ُالبَشَرُ الرسول

قال الله : قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ . الكهف : 110.

وقـال عن نفسه : " **أنا سيّدُ وَلَـدِ آدم يـومَ القيامة ، وأوَّلُ منْ يَنشَـقُّ عنه القبرُ ، وأوّلُ شافِعٍ وأوّلُ مُشَفَّعٍ** " . صحيح مسلم .

وروى الإمام أحمد بسـنده ــ عن أبي أمامة ــ قـال : قلت : يا رسـول الله ... ما كـان أوّل بـدء أمـرك ؟ قـال : " **دعوة أبي إبـراهيم ، وبُشْـرى عيسى بي ، ورأتْ أمّي أنّه خرج منها نورٌ أضاءت به قصور الشام** " .

وذلك مُفَسِّر لقوله على لسان إبراهيم : ربّنا وابْعَثْ فيهم رسولا منهم .. . البقـرة : 129 ، وقوله على لسان عيسى بن مـريم : ومُبَشِّرا برسـول يأتي من بعدي اسمه أحمد . الصف : 6 .

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعتُ رسولَ الله يقـول : " **لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الـذي يمحو اللـهُ به الكفـرَ ، وأنا الحاشرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قدمه ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد** " . رواه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري .

مرّ رسـول الله في جميع مراحل الحيـاة الـتي يُمكن أن يمـرّ بها بشر . طفلا ، وشابا ، وكهلا ، وشيخا كبيرا ، وغنياّ ، وفقـيرا ، وقائـدا ، وحاكما ، ومُخرَجا من بلـده ، وغير مُرحّب بدعوته ، ومنتصر ، وظـافر ... وكـان مُتمتّعا بخصـائص البشـريّة كلّها ، غير أنّ الله مولاه قد عصـمه من جميع مظـاهر الانحـراف منذ ولادته وحـتى توفـاه . نشأ يتيما فقيرا . ولكن ماذا تقول فيمن تولاه مولاه بالرعاية والتأديب !؟ فلقد أدّبه ربُّه فأحسنَ تأديبه .

نبيّ ، نبيل عريق النسب ، فقير لا يطغيه بأس النبلاء والأغنياء ، يـتيمٌ بين رحمـاء ، خبير بكلّ ما يختـبره العـرب من ضـروب العيش في البادية والحاضـرة . تـربى في الصحراء وألِف المدينة ، ورعى الغنم واشتغل بالتجارة ، وشـهد الحـروب والأحلاف ، واقترب من السُراة ، ولم يبتعد عن الفقراء ، عاش حياة الغنى وعانى من الحرمان ،

وعاش النصر ، وجرّب مُرّ الظلم من أعدائه . لقد مَرّ بجميع مراحل الحياة وأنواعها ، **فكان قدوة لجميع الناس في جميع مناحي حياتهم** .

ثمّ أدرك النبيُّ غاية ما سعى إليه ، فلم يدخل له المال ولا المتاع في حساب ، ولم يكن النعيم المستطاع أفعل في إغرائه من النعيم الموعود (يوم وعده عتبة بن ربيعة في مكة بتفويض من قريش) ... **أَوَليس ذلك من دلائل النبوّة !؟ .**

فقد كان بشرا رسولا مستكملا للصفات التي لا غنى عنها في إنجاح كلّ رسالة عظيمة من رسالات التاريخ .

رسول الله

لقد كانت عناية الله بالرسول عناية اجتباء ، وحبّ ، واصطفاء . ولقد كان رسول الله محبّا لله ، وعلى أعلى درجات العبوديّة والحبّ لمولاه . وكان رسول الله رحيما بأمتّه ، ناصحا لها ، حريصا عليها ، رؤوفا رحيما . قال رسول الله : " **إنّما مَثَلي ومثَلُ الناس كمثل رجلٍ استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدوابُّ التي تقع في النار يَقَعْنَ فيها ، فجعل يَنْزِعُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ فيَقْتَحِمْنَ فيها ، فأنا آخذٌ بحُجَزِكُم عن النار ، وأنتم تقحَّمون فيها** " . رواه البخاريّ ومسلم غيرهما .

قال : اللهُ أعْلَمُ حيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه .. . الأنعام : 124 . **إنّ أبرز ما في حياة النبي أنّه رسول الله** . بما يتضمن ذلك من اصطفاء الله له ، وتربيته ليكون هاديا للبشريّة رحمة للعالمين .

ومع هذا يمكن رصد أنواع مختلفة من جوانب العظمة في حياته .

وفيما يأتي ، نتطرق إلى بعض جوانب عظمة النبيّ الخَلْقيّة والخُلُقيّة والعملية . ونحاول رسم صورة صادقة عن الرسول العظيم كما وصفه الواصفون من صحابته الكرام ، ولْنِتَمَثَّلَه حيّا بين أظهرنا .

صفاته الخَلْقِيّة

أما من الناحية الخَلْقِيَّة

فقد كان مُجَسِّدا للكمال البشرّي في جميع جوانبه ، فهو أحسنُ الناسِ وجها ، وأحسنهم خَلْقَا ، وأكملهم خُلُقا . ففاضت قلوب أصحابه بإجلاله ، ودأبوا على توقيره

، وتَفَانَوا في حياطته وإكباره ، وتركوا كثرة سؤاله ، وابتعدوا عن الاختلاف بين يديه ، وأحبّوه إلى حدّ الهيام ، بما لا تعرف الدنيا مثل ذلك لرَجُلٍ غيره مع أصحابه ، ورضي عنهم أجمعين .

وإلى سيّدنا محمد رسول الله ينتهي الحُسْنُ والبهاء والجَمال . وإن كان نبي الله الكريم يوسُف الصِدّيق أُوتي شَطْرَ الحُسْن ، وافْتُتن به بعض النساء ، فلقد أوتي رسولنا محمد الحُسْنَ كاملا مع الهيبة والوقار . فهو أجملُ الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم وأكملهم من قريب . فكان **منظره يوحي لِمن يراه أنّه أَمام نبيّ .** قال أبوهريرة : ما رأيتُ شيئاً أحسنَ من رسول الله .

وكان علي بن أبي طالب إذا وصف النبيَّ قال : هو خاتَمُ النبيّين ، أجْوَدُ الناس صَدْرَا ، وأصدقُ الناس لهجةً ، وألْيَنُهُمْ عَريكة (دليل على كمال مسامحته ، ووفور حلمه وتواضعه) ، وأكْرَمُهُمْ عِشْرَةً (صحبة) ، من رآه بَدِيْهَةً (مفاجأة) هابَهُ ، ومن خالطه مَعْرِفَةً أحبّه .

وكان أطيب الناس رائحة . وإذا مرَّ من طريق عُرِفَ أنّه مَرَّ من هنا ، لطيب رائحته .

قال أنسُ بن مالك : ما مَسَسْتُ ديباجا ولا حريرا ألْينَ من كفّ رسول الله ، ولا شَممتُ رائحة قطُّ أطيبَ من رائحة رسول الله ، ولقد خدمت رسول الله عشر سنين ، فما قال لي قطّ : أُفٍّ ، ولا قال لشيءٍ فعلتُه : لمَ فعلْتَه ؟ ، ولا لشيءٍ لمْ أفعَلْه : ألا فعَلْتَ كذا ؟ . متفق عليه .

(أقول : ألا يدلّ هذا الحديث العظيم كذلك على فطنة سيّدنا أنس بن مالك وكياسته وحسن تدبيره ؟!) .

وكان رَبْعَة (وسطا) من القوم ، ليس بالطويل الذاهب ، ولا بالقصير .

عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله مَرْبُوعاً ، ولقد رأيتُه في حُلّة حمراء ، ما رأيتُ شيئا قطُّ أحسنَ منه . متفق عليه . (مربوعا : ليس قصيرا ولا مُفرطا في الطول ، وإلى الطول أقرب) .

ظاهر الوضاءة . طويل الزندين ، سابل الأطراف (طويل الأصابع) ضخم القدمين ، سريع المِشية ، يمشي مسرعاً وكأنّما ينحدر من جبل . قال أبو هريرة : ولا رأيتُ أحدا أسرع في مِشْيته من رسول الله ، كأنّما الأرض تُطوى له ، إنّا لنُجْهِدُ أنفُسَنا وإنّه لغير مُكترث .

وكان أزهر اللون (أبيض مشربا بحمرة) ، عظيم الرأس ، واسع الجبين ، سهل الخَدّين ، شديد سواد الشَعر ، وكان رَجِلَ الشَعر (بين الجعودة والسُبُوطة) ، أدعج (واسع العينين ، جميلهما ، شديد بياضهما وسوادهما ، كأنّ في عينيه كحل) غزير اللحية ،

جميل الجِيد (العُنُق) ، عـريض الصـدر (دليل الصـبر والسـماحة والحلم) واسع ما بين المنكبين ، معتـدل الخَلْق ، لا بالبـدين ولا بالنحيل . واقـترن النشـاط والحيـاء بـالقوّة والمضاء في هذه البِنْية الجميلة ، فكان يصرع الرجلَ القويّ ، ولربما ركب الفــرس عاريا عن السرج .

وكان ضَليع الفم (الضليع : العظيم ، وذلك دليل على سلامة النُطق وفصاحة الكلام .) . قال عمر بن الخطاب : وكان من أحسن الناس ثَغرا . صحيح مسلم . في صوته صَهَل (بحة يسيرة : وذلك من عُذُوبة الصوت) ، وكلامه فصْل . إذا تكلّم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه . إنْ صَمتَ فعليه الوَقار ، وإنْ تكلّم سما ، وعلاه البهاء .

عن أمّ المؤمنين الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : كان كلام رسول الله كلاما فَصْلا ، يفهمُه كلُّ من يسمعُه . رواه أبو داود .

كان أفصح الناس وأصدقهم . أوتيَ جوامع الكَلِم ، وخُصّ ببدائع الحِكم ، وقلّة التكلّف ، ولا يتكلّم في غير حاجة . اجتمعت له قوّة عارضة البادية وجزالتها ، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها ، وعَلِم ألسنة العرب ، فكان يُخاطب كلّ قبيلة بلسانها ، ويُحاور كلّ قوم بلهجتهم .

مدحه شاعرُه حسان بن ثابت ، فقال :

وأحسنُ منك لَمْ تَرَ قطّ عينٌ   وأجمل منك لم تلد النساء
خُلِقْتَ مُبرّءا من كلّ عيبٍ   كأنّك قدْ خُلِقتَ كما تشاء

أمّا من الناحية الخُلُقيّة

فلا بدّ لمن يختاره الله لتبليغ دعوة الله للناس أن يكون على خُلُقٍ عظيم ، ليدل الخَلْقَ على كلّ خير، ويطهرهم من كل شر. ثم الرسول هو المبلغ عن ربه والقدوة للبشر في أمور دينهم لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخرَ وذَكَرَ اللهَ كثيرا . الأحزاب : 21 .

فلا بد أن يكون الرسول أرقى البشر في كـلّ جـانب من جـوانب الحيـاة . قل إنَّ صَلاتِي و نُسُكِي و مَحْيَاي و مَمَاتي للهِ ربِّ العـالمين لا شـريك له وبذلك أُمِرْتُ **وأنا أوّلُ المُسْلِمين** . الأنعام : 162ـ 163 .

أخلاقه .

لقد كان الرسول عظيما في أخلاقه ، وعلى قمّة الكمال في كل ناحية من نواحيها . أدّبه ربُّه فأحسن تأديبه . اقرأ معي قول الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم . القلم : 4 ؛ وكفى بها شهادة عظيمة من رب عظيم لنبي عظيم . فكان يُحبُ الخُلُقَ الحسن ، ويحثُ أمتّه عليه .

وبمناسبة الحديث عن الآية لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخرَ وذَكَرَ اللهَ كثيرا ، يقول سيّد قطب رحمه الله في موسوعته (في ظلال القرآن) بعدما يستعرض أحوال المنافقين في غزوة الأحزاب (الخندق) :] ولكنّ الهول والكرب والشدّة والضيق ، لمْ تُحوّل الناسَ جميعا إلى هذه الصورة الرديئة ... كانت هنالك صورة وضيئة في وسط الظلام ، مُطْمئنّة في وسط الزلزال ، واثقة بالله ، راضية بقضاء الله ، مستيقنة من نصر الله ، بعد كلّ ما كان من خوف وبلبلة واضطراب .

ويبدأ السياق هذه الصورة الوضيئة برسول الله .

 لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخرَ وذَكَرَ اللهَ كثيرا ، وقد كان رسول الله على الرغم من الهول المُرْعب والضيق المُجهد ، مثابة الأمان للمسلمين ، ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان . **وإنّ دراسة موقفه في هذا الحادث الضخم لمّما يرسم لقادة الجماعات والحركات طريقهم ، وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وتطلُبُ نفسُه القدوة الطيّبة ، ويذكر الله ولا ينساه .**

ويحسن أنّ نُلمّ بلمحات من هذا الموقف على سبيل المثال .

ويتابع سيّدٌ كلامَه ... ولنا أن نتصوّر هذا الجوَّ الذي يعمل فيه المسلمون ، والرسول بينهم ، يضرب بالفأس ، ويجرف بالمسحاة ، ويحمل في المكتل ، ويُرجِّع معهم الغناء ... ولنا أن نتصوّر أيّة طاقة يُطلِقها هذا الجوّ في أرواحهم ، وأيّ ينبوع يتفجّر في كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز .

... ثمّ كانت روحه تستشرف النصر من بعيد ، وتراه رأي العين في ومضات الصخور على ضرب المعاول ، فيحدّث بها المسلمين ، ويبثّ فيهم الثقة واليقين .

...أمّا أخبار شجاعته في الهول ، وثباته ويقينه ، فهي بارزة في القصّة كلّها .

وحول الآية وإنك لعلى خلق عظيم ، يقول سيّد :

ثمّ تجيء الشهادة الكبرى والتكريم العظيم :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ... ويعجز كلّ قلم ، ويعجز كلّ تصوّر ، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من ربّ الوجود ، وهي شهادة من الله ، في ميزان الله ، لعبد الله ...

ويتابع : وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كلّ ما روي عنه . ولكنّ هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كلّ شيءٍ آخر . أعظم بصدورها عن العليّ الكبير . وأعظم بتلقّي محمد ﷺ لها وهو يعلم من هو العليّ الكبير ، وبقائه بعدها ثابتا راسخا مطمئنّا . لا يتكبّر على العباد ، ولا ينتفخ ، ولا يتعاظم ، وهو الذي سمع ما سمع من العليّ الكبير !... والله أعلم حيث يجعل رسالته . وما كان إلاّ محمد ﷺ ـ بعظمة نفسه هذه ـ من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكلّ عظمتها الكونيّة الكبرى . فيكون كفئا لها ، كما يكون صورة حيّة منها .

ويتابع سيّد قوله : إنّه محمد ﷺ ـ وحده ـ هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة ...إنّه محمد ﷺ ـ وحده ـ هو الذي يبلغ قمّة الكمال الإنسانيّ المجانس لنفحة الله في الكيان الإنسانيّ ... إنّه محمد ﷺ ـ وحده ـ هو الذي يكافىء هذه الرسالة الكونيّة العالميّة الإنسانيّة ، حتى لتتمثّل في شخصه حيّة ، تمشي على الأرض في إهاب إنسان ... إنّه محمد ﷺ ـ وحده ـ الذي عَلِمَ اللهُ منه أنّه أهل لهذا المقام . والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ وأعلن في هذه أنّه على خُلُقٍ عظيم . وأعلن في الأخرى أنّه ـ جلّ شأنه وتقدّست ذاته وصفاته ـ يُصلّي عليه هو وملائكته ﴿ إنّ الله وملائكته يُصَلّون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾

وهو ـ جلّ شأنه ـ وحده القادر على أن يهب عبدا من عباده ذلك الفضل العظيم]. انتهى كلام سيّد رحمه الله .

وعن أنس ﷺ عن النبيّ ﷺ قال : " **يَسِّروا ولا تُعَسّروا ، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا** " . متفق عليه .

وعن جابر ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : " **إنّ من أحبِّكم إليَّ وأقربِكم مني مجلِسا يوم القيامة أحاسِنَكُم أخلاقا** ... " الحديث . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **أكملُ المؤمنين إيمانا أحسنُهم خُلُقا ، وخياركم خياركم لنسائهم** " . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

كان الحِلْم والاحتمال ، والعفو عند المقدرة ، والصبر على المكاره ، صفات أدّبه الله عليها . فما زاد مع كثرة الأذى إلاّ صبرا ، وعلى إسراف الجاهل إلا حِلْما .

وكان جمّ الحياء ، وكان أشدّ الناس حياءً وإغضاء . فقد كان خلقه القرآن . عن أمّ المؤمنين الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : " ...كان خُلُقُ نبيِّ الله القرآن . رواه سلم .

إنّه الخُلُق القرآنيّ الكريم في أبهى صوره ، وأكمل صفاته ، وأعلى منازله .

فدينه الإسلام خُلُقه الحياء . **وكان رسـول الله أكـثر النـاس حيـاء** . عن أبي سعيد الخُدرِيّ قال : كان رسول الله أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها ، وكـان إذا كَرِهَ شيئا ، عرفناه في وجهه . صحيح مسلم . فلم يُعهد عنه أبدا فحش ولا بذاءة .

وكان دائم البِشْر ، وإذا رضي انطَلَقَتْ أساريرُ وجهه ، وتبيّن رضاه . وكان كثير التبسّم (وكان أكثر ضحكه تبسّـما) ، سهل الخُلُق ، ليّن الجـانب . ليس بفـظٍّ ولا غليظ ولا صخّاب (الصخب : عُلُوّ الصوت وارتفاعه من غير حاجة) ولا فحّاش .

ولا يُـؤيِسُ منه راجيه ، ومن سـأله حاجة ردّه بها أو بميسـورٍ من القـول . يقبل الهديّة ويـثيب عليها ، ولا يأكل الصـدقة هو ولا أهل بيته . لا يجـزي بالسـيّئة السـيّئة ، ولكن يعفو ويصفح .

أبعد النــاس عن الغضب ، وأســرعهم رضا . يتقي الغضــبَ جهــده ، وما غضب لنفْسه قطّ ، وإنّما يغضب إذا انتهكت حرمات الله ، فلا يقوم لغضبه عندها شيء .

عن أمّ المؤمنين الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : .. وما انتقمَ رسولُ الله لِنَفْسِهِ في شـيءِ قـطُّ ، إلاّ أنْ تُنتَهـكَ حُرْمَـةُ الله ، فينتَقِمَ لله تعالى . متفق عليه .

كان قريبا من الناس ، وهو خير الناس للناس ، يُكْـرم كـريم كـلّ قـوم ، ويُوَلّيه عليهم . وكان خير الخلق لأهله .

يلتفت فيلتفت كلّه جميعا ، ويشير فيشير بكفّه كلّها .

وكان أعدل الناس ، وأوفاهم بالعهود ، وأعفّهم ، وأوصلهم للرحم ، وأعظمهم أمانة . فقد طلبَ النبيُّ عند هجرته من علي بن أبي طالب أن يبقى بعده لأداء الودائع التي كانت في بيت النبيّ إلى أصحابها . حيث لم يجدوا من هو مثله أمانة وصِدْقا ، **فكانوا ـ مع عداوتهم له ـ لا يضعون حوائجهم وأموالهم التي يخافون عليها إلاّ عنده** ! .

وكان من أقلّ الناس كلاما ، ومن أحسنهم فعالا . ولكنّه إذا تكلّم نطق قلبه ، وإذا عمل نطقت جوارحه . وكان أحبّ العمل إليه أدومه . وقد ترك نفسه من الرياء ، ومن الإكثار ، ومما لا يعنيه .   ولا يذُمّ أحدا ، ولا يُعيّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا بخير وفيما يرجى ثوابه .

مجلسه مجلس عِلْم وحِلْم ، وفِكر وذكر ، وحيـــاء وأمانة وصـــبر. ولا يقـــوم ولا يجلس إلاّ على ذكر الله مولاه . قـال خارجة بن زيد : كـان النـبي أوقر النـاس في مجلسه ، لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه (يستفاد من ذلك أن لا يمُـدّ أحـدنا رجليه بين الناس ، ويتأكّد ذلك في المساجد ، وباتجاه القبلة خاصّـة . وكـذلك من يجلس على كرسـيّ ويثـني رجله على الأخـرى ، أن لا يجعل بطن قدمه المرفوعة في وجه من يجالسه) . لا يتميّز من جلسائه ، وإذا أتى الغريبُ يسأل : أيّكم محمد ؟! . ويشعر كلّ واحد من جلسـائه أنّ رسول الله يخصّه بالاهتمام .

وكان إذا مسّ أحدا أحسَّ بطمأنينة ورَوْحٍ عجيب .

كان يتفكّه ويمـزح ويُـداعب أصـحابه ، **وكان مزاحه آية من آيـات النُبُـوّة** ، فكان يُمازح أصحابه ولكن لا يقول إلاّ حقّا .

عن أبي هريرة قال : قالوا : يا رسولَ الله إنّكَ تُداعِبُنا . قال : " **نَعَمْ . غَيْـرَ أنّي لا أقولُ إلاّ حَقًّا** " . الترمذي وأحمد وابن السني .

وكان أحرص الناس على جبر القلوب ، وتطييب الخواطر ، وتوخّي المؤاسـاة ، واجتناب الإساءة . يتفقدّ أصحابَه كبارا وصِغارا ويسأل عنهم ، فلا يحسب أحـدهم أنّ أحدا منهم أكرم عليه منه .

وإذا استوقفه أحد لحاجة ، لا ينصرف حتى ينصرف صاحبه .

وكان يبادر من لقيه بالسـلام والمصـافحة ، ويُقْبِل عليه بوجهه جميعا ، ويكـون آخر من ينزع يده من يد صاحبه . ويمرّ بالصِبْيَان والنساء فيُلوّح بيده ويقرئهم السـلام . روى البخاري عن أنس أن رسـول الله مـرَّ على صِـبْيَانٍ يَلْعَبُـون فسَـلَّمَ عليهم . ورواه مسلم من وجه آخر .

وكان خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السـماء ، وجُـلّ نظره التفكر والملاحظة . ولا يثبت نظره في وجه أحد . ولا يُشافه أحـدا بما يكـره ــ حياء وكرم نفس ـ بل يقول : " ما بالُ أقوامٍ يَصْـنَعُونَ كـذا ؟! ، أو يقـول : ما بـالُ أقوام يقولون كذا ؟! " .

يسوق أصحابه (يقدمّهم بين يديه) ويمشي خلفهم . عن جابر قال : كان رسـول الله يتَخلَّفُ في المسير ، فيُـزْجي الضـعيفَ ، ويُـرْدِفُ ، ويـدعو له . رواه أبو داود بإسـناد حسن . (يزجي : يسوق الضعيف ليلحق برفاقه) .

حقّا : إنّها أخلاق القرآن ... إنّها أخلاق النُبُوّة .

إنّه بُعِثَ لِيُتَمّم مكـارم الأخلاق بذاته وبسـلوكه ، وبقوله وبرسـالته . ولقد حقق النبيُّ تعاليم القرآن بذاته ، وطبّقها على مجتمعه ، على أكمل صورة يمكن أن يصل

إليها مجتمع بشـريّ . (**ولـولا ذلك لوجد من يقـول : إنّ تعـاليم الإسـلام العظيم ، مجردّ مبادئ نظريّة ، يستحيل تطبيقها على أرض الواقع**) .

ولقد زكاه مولاه عن الضلال والغواية ، فقال : ما ضل صاحبكم وما غوى . النجم : 2 .

وزكى لسانَه ، فقال : وما ينطق عن الهوى . النجم : 3 .

وزكى فؤادَه ، فقال : ما كذب الفؤاد ما رأى . النجم : 11 .

وزكى بصرَه بقوله : ما زاغ البصر وما طغى . النجم : 17 .

وزكى ربُه عقلَه ، فقال : وما صاحبكم بمجنون . التكوير : 22 .

وزكاه عن القطيعة والهجران ، فقال : ما ودعك ربك وما قلى . الضحى : 3 .

صفاته الأساسيّة ، وحياته العمليّة

وأما صفاته الأساسيّة ، وحياته العمليّة ، فحدّث عن البحر ولا حرج .

فقد كان مستكملا للصـفات الـتي لا غـنى عنها لصـاحب كل رسـالة في إنجـاح رسالته العظيمة .

حيث استوفى شمائل الوسـامة والمحبّة والمهابة والعطف على النـاس ، فكـان على ما يختاره واصفوه ومحبّوه ، وكان نِعم المُسمّى بالمختار .

فقد كانت له فصاحة اللسان واللغة . فهو صاحب كلام سليم في منطق سـليم . وكانت له مع الفصاحة صباحة ودماثة ، تحببانه إلى كلّ من رآه ، وتجمعان إليه قلوب كلّ من عاشروه .

فكان مُحبّا لأصحابه وأهلا لحبّهم إيّاه . فقد تمّت له أداة الحُبّ من طرفيها .

وإنّما تتمّ الصـداقة بالعاطفة الحيّة ، والـذوق السـليم ، والخلق الرفيع المـتين . وقد كان نبينا محمد في تلكم الخصال مثلا عاليا بين صفوة الخلق أجمعين .

فعن صِدقه وأمانته ، يكفيه أنّه عُرف بين قومه ـ حتى قبل البِعْثة ـ بالصادق الأمين .

وعرف عنه ثقته بربّه ، وسلامة دعوته ، والتزامه بتطبيق ما يدعو إليه (أمرا ، أو نهيا) . وقيامه بتبليغ دعوة الله تعالى كاملة غير منقوصة ، على أكمل وجه وأتمّه .

وامتاز بعقله العظيم ، وفطنته الفذّة . وكان قُدوة في صبره ، ورحمته ، وحِلْمه ، وتواضعه ، وتيسيره ، وبُعد نظره ، وكرمه ، وشجاعته .

وهو أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، فلهو أجود من الريح المرسلة . قال عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : ما رأيت أشجعَ ولا أجود ولا أضوأ من رسول الله .

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله أجودَ الناس ، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريلُ ، وكان يلقاه جبريل في كلّ ليلة من رمضان فيُدارسُه القرآنَ ، فلرسول الله حين يلقاه جبريل أجودُ من الريح المُرْسَلَة . متفق عليه .

وعن جابر قال : ما سُئِلَ رسولُ اللهِ شيئا قَطُّ فقال : لا . متفق عليه .

وكان أنموذجا يحتذى في الأمور الدَعَويّة (قولا وفعلا) ، والاجتماعيّة (زوجا ، وأباً ، و ضيفا ، ومُضيفا ، و...) ، وبراعته العسكريّة والسياسيّة (تخطيطا ، وإعدادا ، وتنفيذا ، واستباقا للأحداث ...) . ومثالا للقائد الذي يستوعب أتباعه تربية ، وتنظيما ، وتسييرا ، ورعاية ، ومشورة (وشاوِرْهم في الأمر) ، ويوظّف إمكاناتهم وقدراتهم أحسن توظيف في خدمة الدعوة وأهدافها . ويحسن التعامل مع المشكلات الطارئة . فاكتسب ثقتهم وطاعتهم المطلقة .

ولذلك ؛ كان الصحابة رضي الله عنهم ؛ من أشدّ الناس حُبّا للنبيّ ، ومن أحرص الناس على طاعته ، وأسرعهم إليها ، وأنشطهم فيها ، وأصبرهم عليها . فأحبُّوا ما أحبّ ، وكَرِهوا ما كَرِه . وقدّموا من أجل ذلك الغالي والنفيس ، ولهم في ذلك القِدْح المُعَلّى ، والنصيب الأوفى ، إلى يوم الدين . فوصل بهم ومعهم إلى الكمال في تبليغ دعوة الله تعالى ، وانتصر ، وأسس دولة الإسلام العظيم الخالد ، وصنع من أتباعه وأصحابه أعظم جيل ، وكانت أمته خير أمّة أخرجت للناس . قال : كُنْتم خيرَ أمّةٍ أُخْرِجَت للناسِ تأمرونَ بالمعروف وتَنْهَوْن عن المُنْكر وتُؤْمِنون بالله ... . آل عمران : 110 .

كان مؤيّدا من الله بالوحي . وكان لهذا التأييد أثرٌ حاسم في توفيقه بشيرا ونذيرا ، ومُشرّعا وقاضيا ، وسياسيّا وإداريّا ، وقائدا وحاكما ، ومُربيا ومُعلّما ، وبَشرا وإنسانا .

لقد كان في قِمّة القمم تساميا على الذات ، واهتماما بأمر المسلمين ، وإخلاصا لدعوتهم ومصالحهم العليا ، وحِرْصا على هدايتهم .

وجُمِع له أخذه بالحسنى (لِيُقْتَدى به) ، وتركه القبيح (ليُتَنـاهى عنه) ، واجتهاده الرأي فيما يُصلح أمتّه ، والقيام لهم فيما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة .

لــذلك خــرج في مدرســته القمم من جميع الكفــاءات والقابليــات لمختلف المناصب والواجبات .

ولقد جــاء برســالة ربّانيّة المصــدر ، واقعيّة ، عالميّة ، إنســانيّة ، شاملة ، كاملة .

واستطاع النبي بعون من الله وتوفيقه بناء الإنسان المسلم على دعائم ثلاث :

1. **المبدأ السديد :** عقيدة مُنشئة بنّاءة ، هي الحقّ في كلّ زمان ومكان ، تقـوم عليها شريعة لا يصلح للإنسان غيرها ، عالجت أمر الدنيا والآخرة ، وفصلت القول في علاقة العبد بخالقه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقة الخلق بعضهم ببعض .
2. **والقدوة الحسنة** : فكان يُمثّل تعاليم الإسلام العظيم (في أوامـره ونواهيه) وكأنّها تمشي على الأرض بَشراً سويّا .
3. **واختيــار الرجل المناسب للعمل المناسب** ، والتنويه بمزايــاه ، والغضّ عن النقـائص ، ومحاولة تقويمها وتلافي محاذيرها . يبـني المسـلم ولا يحطمه ، ويُقوّم المعوجّ ولا يكسره ، ويُشيّد للحاضر والمستقبل . وكانت له القــدرة على تأليف القلوب وجمع الثقة . وكان جامعا للمحبّة والثقة جميعا .

جهاده .

من أراد أن يتعرّف على حياة النبيّ الجهاديّة ، فلينظر في سِفْر الإسلام الخالد الذي صنعه وبناه ذلك النبيّ العظيم ، ولْيتفحّص حياتَه ، فسيجدها جهادا كلّها . فما وهنت له عزيمة ، ولا لانت له قناة ، منذ بعثه الله ، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى .

فبراعته العسكريّة : في الإعداد والاستعداد ، وأخْذٍ بكـلّ مقوّمـات النصر المادّية والمعنويّة ، من تنظيم للجيش ، وحسن الاستطلاع ، والكتمان ، والسـريّة ، والمباغتة ، واجتناب المهالك ، وعدم التعرض للأبرياء والضـعفاء ، والقـدوة الحسـنة : في بـذل ماله ونفسه وأقربائه ... كلّ ذلك وغيره ، نلمسه واضحا جليّا في غزواته وسراياه .

نلمس ذلك في بدر الكبرى (أوّل غزوة شـارك فيها بنفسه) ، مـرورا بغـزوة بـني قينقاع ، وأحد ، ثم بني النضير ، وذات الرقاع ، وبني المصطلق ، والخندق (الأحزاب)

، وبني قريظة ، والحديبية ، وخيبر ، وفتح مكّة ، وحنين ، وتبوك (آخر غزوة شـارك فيها بنفسه) . هذا فضلا عن السرايا الكثيرة جدّا الـتي سـيّرها ، والبعـوث العديـدة الـتي بعثها ، خلال السنوات القليلة التي عاشـها في المدينة المُنـوّرة . (في كتـاب السـيرة النبوية لابن هشـام : كـان جميع ما غـزا رسـول الله بنفسه سـبعا وعشـرين غـزوة . وكانت بعوثه وسراياه ثمانيا وثلاثين / من بين بَعْثٍ وَسَرِيَّة .) .

ولو أحصينا عدد القتلى (المسلمين وغـيرهم) في جميع تلك المعـارك ، لوجـدناها في حدّها الأدنى .

بل كان يميل دائما إلى حقن الدماء ، وتحقيق أهدافه في معاركه ، بأقل عدد من القتلى .

قـال لأمـراء الجيش الـذي أرسـله إلى مؤتة : " **اغـزُوا بسم الله ، في سبيل الله ، منْ كَفَرَ بالله ، لا تغدروا ، ولا تغُلُّوا ، ولا تقْتُلـوا ولِيْـدا ولا امرأة ، ولا كبيرا فانيا ، ولا مُنْعَزِلا بصومعة ، ولا تقطعوا نخلا ولا شجرة ، ولا تهدموا بناء** " .

شجاعته ورباطة جأشه

فكان أشجع الناس . حضر المواقف الصعبة ، وفرّ عنه الكُماة والأبطالُ غير مرّة ، وهو ثابت لا يبرح ، مُقْبِل على العدوّ لا يتزحزح . قال عنه أشجع الشجعان ومجندل الفرسان علي بن أبى طالب : كنّا إذا حمي الوطيس واحمرّت الحِدَقُ نتقي برسول الله فهو أقربنا إلى العدو .

وعن أنس قال : كان الرسول من أجمل الناس ، ومن أجـود النـاس ، **ومن أشجع الناس** . رواه البخاري .

وروى ابن كثير في تفسيره خبر غزوة حنين ، ثم قال : قلت : وهـذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامّة . إنّه في مثل هذا اليـوم ، في حومة الـوغى ، وقد انكشف عنه جيشه ، وهو مع هذا على بغلة ، وليست سريعة الجري ولا تصلح لِفرّ ولا لِكَـرٍّ ولا لهرب . وهو مع هذا يُرْكضها إلى وجوههم (إلى وجـوه الأعـداء) ويُنـادي باسـمه (أنا النـبيّ لا كَـذِبْ أنا ابن عبد المُطّلب) ليعرفه من لم يعرفه ... وما هذا كلّه إلاّ ثقة بالله ، وتوكّلا عليه وعلما بأنّه سينصره ويتمّ ما أرسله به . ويظهر دينه على سائر الأديان .

تواضعه ويُسْرُه

كان التواضع والتياسر صفتين بارزتين في طبع النبيّ . فكان أشدّ الناس تواضعا ، وأبعدهم عن الكبر ، ينهى الناس عن القيام له كما يقومون للملوك والأمراء . وكان يجالس المساكين والفقراء . ويجلس في أصحابه كأحدهم ، ويجلس حيث انتهى به المجلس ، ويكون صدر المجلس حيث يجلس .

وكان سهلا هيّنا ، يلقى أبعدَ الناسِ وأقرَبهم ، وأصحابه وأعداءه ، وأهل بيته ، والوفود ، بلا تصنّع ولا تكلّف . وكان يكره الإطراء والألقاب .

وكان متواضعا في ملبسه وسكنه . ونهى عن التكبّر ، كما نهى عن سوء الأدب .

ومعلوم زهادة رسول الله عن كنوز الأرض حين عرضت عليه فأباها ، وقال : أجوع يوما وأشبع يوما . وأنه كان له ثلاث عشرة زوجة يَمْضِي عليهنّ الشهر والشهران لا توقد عندهن نار ولا مصباح ؛ إنما هو الأسودان : التمر والماء . وربما ربط على بطنه الحجر والحجرين من الجوع . وما شبعوا من خبز بُرٍّ ثلاث ليال تباعا .

وكان فراشه من أدْمٍ (جلد) حشوه ليف . وربما اعتقل الشاة فيحلبها ؛ ورقع ثوبه ، وخصف نعله (أصلحه) بيده الكريمة . هذا وكم آثر بآلاف مؤلفة من الإبل والشاء والغنائم والهدايا على نفسه وأهله للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين والمؤلّفة قلوبهم .

عن عياض بن حِمَارٍ قال : قال رسول الله : " **إنّ اللهَ أوحى إلَيَّ أنْ تَواضَعُوا ، حتّى لا يفْخَرَ أحَدٌ على أحَدٍ ، ولا يَبْغِي أحَدٌ على أحَدٍ** " . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة أنّ رسول الله قال : " **ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مالٍ ، وما زادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إلاّ عِزّا ، وما تَواضَعَ أحَدٌ للهِ إلاّ رَفَعَهُ الله** " . رواه مسلم .

وعن عبد الله بن بُسْرٍ قال : قال رسول الله : " ... **إنَّ اللهَ جعلَني عبدا كريما ، ولمْ يجعلني جبّارا عنيدا** " . رواه أبو داود بإسنادٍ جيّد .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله : " انْظُرُوا **إلى من هو أسْفَلَ منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقَكُم , فهو أجْدَرُ ألاّ تَزْدَرُوا نِعْمة الله**

عليكم " . متفق عليه . وهذا لفظ مسلم . وفي رواية البخاري : " **إذا نظر أحَدُكُم إلى من فُضِّلَ عليْه في المال والخَلْقِ فلْيَنْظُر إلى من هو أسْفَلَ منه** " .

وعن ابن مسعود قال : نامَ رسول الله على حَصِيْرٍ فقام وقد أثّر في جنبه ، قلنا : يا رسول الله لو اتَّخَذْنا لك وِطَاءً . فقال : " **مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلاّ كرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وتَرَكَها** " . رواه الترمذيُّ وقال : حديث حسنٌ صَحيح . (وطاء : أي فِرَاشا وطيئا تستريح عليه) .

ولننظر إليه وهو على مشارف مكّة فاتحا ، فنراه وهو يقرأ سورة الفتح ، يُرجّع في تلاوته ، مستغرقا في حالة من العُبوديّة التامّة لله ، وكان يضع رأسه تواضعا لله الذي أكرمه بالفتح والنصر المبين . وما كان لِنشوة النصر والظَفَر العظيم إلى نفسه من سبيل ، ولم يكن شيء من التعاظم أو التجبّر ليستولي على شيء من مشاعره .

ثمّ نراه في مشهد آخر ، في مرض وفاته ، وقد اختار الرفيقَ الأعلى على الخلود في هذه الدنيا ، وهو يوصي أمتّه ويودّعها . ولكنه يريد أن يخرج من الدنيا وليس لأحد من خلْق الله عليه شيء .

فممّا قاله : " **من كنتُ جلدتُ له ظَهْرَا فهذا ظهري فلْيَسْتَقِد منه ، ومن كنتُ شتمتُ له عِرْضا فهذا عِرْضي فليستقد منه** " . يقول هذا القول ، وهو الذي ما عُهد عنه أنّه ضرب إنسانا أو حيوانا ، إلا أن يكون جهادا في سبيل الله .

وعن أنس قال : إنْ كانتِ الأمةُ من إماء المدينة لتأخُذُ بيد النبيّ فتنطلقُ به حيث شاءت ! . رواه البخاري . (وذلك دليل على تواضع الرسول ولِيْن جانبه ، وحرصه على قضاء حاجات الناس) .

صلاته

كان أخفّ الناس صلاة على الناس . عن أبي هريرة أن رسول الله قال : " **إذا صلى أحدُكم للناس فليخفف ، فإنّ فيهمُ الضعيفَ والسقيم والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليُطوِّل ما شاء** " . متفق عليه . وفي رواية : " **وذا الحاجة** " .

ولربما دخل في الصـلاة وهو ينـوي الإطالة ، فيسـمع بكـاء صـبيٍّ ، فيخفف من صلاته رحمة بأمّه . عن أبي قَتَادة (الحـارث بن ربعي) قـال : قـال رسـول الله : "

إنّي لأقوم إلى الصلاة ، وأريد أن أُطوّل فيها ، فأسمع بكاء الصبيّ ، فأتجوّز في صلاتي كراهية أن أشقّ على أمّه " . رواه البخاري .

وكان أطول الناس صلاة لنفسه ، وإذا حَزَبه أمرٌ فَزِع إلى الصلاة .

عن أمّ المؤمنين الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : إنّ النبيّ ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطّر قدماه . فقلتُ له : لِمَ تصنعُ هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : " **أفلا أحبُّ أن أكونَ عبدا شكورا** " . متفق عليه . كيف لا ، وهو القائل ﷺ : " **وجُعِلَت قُرّة عيني في الصلاة** " .

فصل في قربه ﷺ من أصحابه وتفقده لهم .

قال ابن اسحاق : حَدّثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف ، فلمّا قَفَلَ رسول الله ﷺ ، قال : جعلتِ الرفاقُ تمضي ، وجعلتُ أتخلّف ، حتى أدركني رسولُ الله ﷺ ، فقال : مالَكَ يا جابر ؟! ، قال : قلتُ : يا رسول الله ، أبطأ بي جملي هذا ، قال : أنِخْهُ ، قال : فأنخته ، وأناخ رسول الله ﷺ ؛ ثمّ قال : أعطني هذه العصا من يدك ، أو اقطع لي عصا من شجرة ، قال : ففعلتُ . قال : فأخذها رسول الله ﷺ فنَخَسَه بها نَخساتٍ ؛ ثم قال : اركبْ ، فركبتُ ، فخرج ؛ والذي بعثه بالحقّ ، يواهق ناقَتَهُ مواهقة (يعارضها في المشي لسرعته / وكانت ناقةُ رسول الله ﷺ واسمها العَضْبَاءُ لا تُسْبَقُ أو لا تكادُ تُسْبَق) .

قال : وتحدّثتُ مع رسول الله ﷺ فقال لي : أتبيعني جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلتُ يا رسول الله ؛ بل أهبَه لك (أُنْظُرْ حُسْن أدب الصحابة مع النبيّ ﷺ) ، قال : لا ، ولكن ؛ بِعْنيه ؛ قال : قلتُ : فسُمْنيه يا رسول الله ؛ قال : قد أخذْتُه بدرهم . قال : قلتُ : لا ؛ إذن تغبِنَني يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ؟ قال : قلتُ : لا . قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقيّة . قال : فقلتُ : أَفَقَدْ رضيتَ يا رسول الله ؟! قال : نَعَمْ ؛ قلتُ : فهو لك ؛ قال : قدْ أخذْتُه .

قال : ثمّ قال : يا جابر ؛ هل تزوّجتَ بعدُ ؟ قال : قلتُ : نعم يا رسول الله ؛ قال : أثَيِّبا أم بِكْرا ؟ قال قلتُ : لا ؛ بل ثيّبا . قال : أفلا جارية تُلاعبها وتلاعبك ! قال : قلتُ : يا رسول الله ، إنّ أبي أصيب يوم أُحُدٍ وترك بنات له سَبْعًا ، فنَكَحْتُ امرأة جامعة ؛ تجمع رؤوسهنّ وتقوم عليهنّ ؛ قال : أصبتَ إن شاء الله . أما إنّا لو قدْ جِئنا

صِرَارا (موضع على ثلاثة أميال من المدينة) أمَرْنا بجزور فنُحِرَت وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسَمِعَتْ بنا فَنَفَضَتْ نمارِقَها (جمع نمرقة : الوسادة الصغيرة) . قال : قلت : واللهِ يا رسول الله ما لنا من نمارق ؛ قال : إنّها ستكون ؛ فإذا أنت قَدِمْتَ فاعمل عملا كيّسا .

قال : فلمّا جئنا صرارا ؛ أمَرَ رسول الله ﷺ بجزور فنُحِرَت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم . فلمّا أمسى رسول الله ﷺ دخَلَ ودَخَلْنَا . قال : فحدّثتُ المرأةَ الحديثَ ، وما قال لي رسول الله ﷺ ؛ قالت : فدُونك ؛ فسمع وطاعة . قال : فلمّا أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل ، فأقبلتُ به حتّى أنخته على باب رسول الله ﷺ ؛ قال : ثمّ جلستُ في المسجد قريبا منه . قال : وخَرَجَ رسول الله ﷺ ، فرأى الجملَ ، فقال : ما هذا ؟! قالوا : يا رسول الله ؛ هذا جملٌ جاء به جابر . قال : فأين جابر؟ قال : فدُعِيتُ له ؛ قال : فقال : يا بن أخي ؛ خُذْ برأس جملك ، فهو لك . ودَعَا بلالا ؛ فقال له : اذهب بجابر ؛ فأعطه أوقيّة . قال : فذهبتُ معه ؛ فأعطاني أوقيّة ، وزادني شيئا يسيرا . قال : فوالله ما زال يَنْمِي عندي ، ويُرى مكانه من بيتنا .

وعن أنس ؓ قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا .

وعنه ؓ قال : إنْ كـانَ رسـولُ الله ﷺ لَيُخالِطُنا ؛ حتّى يقـول لأخٍ لي صـغيرٍ : " **يا أبا عُمَيْرٍ ما فَعَلَ النُغَيْرُ** ؟ " . البخـاري ومسـلم والترمـذي وابن ماجه . (النغـير : طـائر يشبه العصفور أحمر المنقار) .

وقوله ﷺ : " **يا أبا عمير ما فعل النغير** " يُـذكّره بمـوت نغـير كـان يلعب به ، كما جرت به عادة الناس من المداعبة مع الأطفال الصغار .

وعنه ؓ قال : كان رسول الله إذا صَـلّى الغـداة ، جـاء خَـدَمُ المدينة بـآنيتهم فيها الماء ، فما يُؤْتَى بإناءٍ إلاّ غَمَسَ يَدَهُ فيها ؛ فرُبَّما جَاؤوه في الغَدَاةِ البـاردة ، فيغْمِسُ يدَهُ فيها . صحيح مسلم .

نماذج من رحمته ﷺ

- قال رسول الله ﷺ : " **مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ** " . متفق عليه . وقال ﷺ : " **من لا يَرْحَمِ الناسَ لا يَرْحَمْهُ الله** " . متفق عليه .
- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنّ رسول الله ﷺ قال : " **عُذِّبتْ امرأةٌ في هِرَّةٍ حبَسَتْها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هي**

أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض " . متفق عليه .

 وعنه قال : " **إنَّ رسول الله لَعَنَ من اتَّخَذَ شيئا فيه الروح غَرَضا** " . متفق عليه . (الغرض : الهدف والشيء الذي يُرمى إليه) .

 عن ابن مسعود قال : كُنّا معَ رسول الله في سَفَر ، فانطَلَقَ لِحَاجَتِه ، فرأينا حُمَّرَةً معها فَرْخان ، فأخَذْنا فَرْخَيْها ، فجعلت الحمّرةُ تَعْرِشُ ، فجاء النبيُّ فقال : " **منْ فَجَعَ هذه بِوَلَدِها ؟ رُدُّوا وَلَدَها إليها** " . ورأى قرية نَمْلٍ قدْ حَرَّقْناها . فقال : " **من حرّق هذه** ؟ " قلنا : نحن . قال : " **إنَّهُ لا ينبغي أنْ يُعَذِّبَ بالنار إلاّ ربُّ النار** " . رواه أبو داود بإسناد صحيح . (حمّرة : طائر صغير كالعصفور تعرش : تخفق بجناحيها من الحزن ، والتعريش : نوع من الطيران) .

 عن أمّ المؤمنين الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت للنبيّ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيتُ من قومك ؛ وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة (وذلك يوم ذهب إلى الطائف ، ليدعوا ثقيفا إلى الإسلام ، فأعرضوا عنه ، وأغروا به بعض صبيانهم وسفهائهم ، فرموه بالحجارة حتّى سال الدم من عقبيه الشريفتين) ؛ إذ عَرَضْتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردتُ ، فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب ، فرفعتُ رأسي ؛ فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرتُ فإذا فيها جبريل ، فناداني ؛ فقال : إنّ اللهَ قد سمع قولَ قومك لك ؛ وما رَدُّوا به عليك ، وقد بعثَ لكَ ملك الجبال لتأمرَه بما شئتَ فيهم . فناداني ملك الجبال ؛ فسَلَّمَ عَلَيَّ ؛ ثم قال : يا محمد ، فقال ذلك ، فما شئت ، إنْ شئتَ أن أُطْبِقَ عليهم الأخشبين . فقال النبي : **بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد اللهَ وحده ولا يشرك به شيئا** . القصّة في صحيحي البخاري ومسلم . (الأخشبان : جبلان يحيطان بمكّة المكرمة ، وإطباق الملك للأخشبين يعني هلاك أهل مكّة) .

فصل في بعض معجزاته

إنّنا نؤمن بخرق الله للعادة ، بالنسبة للأنبياء أوّلاً (المُعجِزات) ، وللأولياء ثانيا (الكرامات) . ولا مناص من أن نؤمن بالمعجزات لرسول الله محمد ، حينما تَرِدُ

في القرآن الكريم ، أو السنّة الصحيحة المُطهّـرة . وما من معجـزة كـانت في الأمم السابقة ، إلا أعطي رسولنا محمد وأمّتُه مِثْلَهَا أو أفضل .

ألا وإنّ أعظم مُعجزات النبيّ هو القـرآن الكـريم ، الـذي تكفّل الله بحفظه . كتاب الله الـذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يَخلق على كـثرة الـردّ ، وفيه خـبر من قبلنا ، ونبأ مَن بعدنا ، وفيه ذكر لنا . معجزة دائمة مستمرة : إعجازا لُغويّا ، وإعجازا علميّا ، وإعجازا تشريعيّا بهر ولا يزال ؛ علماءَ القانون ، والاجتمـاع ، والاقتصـاد ، والسياسة ، وغيرهم ، بأسراره التشـريعيّة العظمى ، وإعجـازا غيبيّا مسـتقبليّا ؛ ولا غـرو ، أنّه لم تكتشف حقيقة علمية (حقيقة وليس نظريّة) فكــانت تخــالف أو تصــادم ما جــاء في القـرآن الكـريم أو السُـنّة المُطهّـرة . بل كـان الكثـير من آيـات القـرآن الكـريم ، أو أحاديث النبيّ ، سببا مباشرا في إسلام العدد الكثير من علماء عصـرنا ، الموسـوم بعصر النهضة والاكتشافات العلميّة الفائقة .

ومن بعض معجزاته :

 انشقاق القمر . قال : اقتربت الساعةُ وانشق القمرُ ، وإن يروا آية يُعرِضوا ويقولوا سحر مستمر . القمر : 1،2ـ عن أنس بن مالك قـال : سـأل أهلُ مكّة النبيَّ آية ، فانشقّ القمر بمكة مرتين . أخرجه مسلم وأحمد . وعنه في الصحيحين : فأراهم القمرَ شقين حتى رأوا حِراء بينهما .

 تسليم الجمـادات عليه (كتسـليم الحجر والشـجر عليه) . ففي صـحيح مسـلم عن النبيّ قال : " **إنِّي لأَعْرِفُ حَجَرا بمكّة كـان يُسَـلِّمُ عَلَيَّ قَبْل أنْ أُبْعث ، إنّي لأعرفه الآن** " .

 الأحاديثُ في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ، وتكثـير الطعـام ، في مـواطن مختلفة ، وعلى أحوال متغايرة ، وبلغ مجموعها التَوَاتر . (وذلك كثـير جـدّا : كما في غزوة الخندق ، والحديبية ، وتبوك ، وغيرها) .

منها : عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ رضي الله عنهما ، قال : لمّا كانت الليلــةُ التي سَبَقَتْ " أُحُداً " دعاني أبي وقال : إنِّي لا أراني إلاّ مقتولا مع أوّل من يُقْتَلُ مِنْ أصحاب رسول الله ، وإنّي ـ والله ـ ما أَدَعُ أَحَدا أَعـزَّ عَلَيَّ منك بعد رسـول الله . وإنّ عَلَيَّ دَيْنَا ، فاقضِ دَيْني ، وارحم أخَواتِكَ واسْتَوْصِ بِهِنّ خيرا .

فلمّا أصبحنا ، كان أبي أوّلَ قتيل قُتِـلَ في " أحد " . فلمّا دَفَنْتُـهُ أتيتُ النـبيّ ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنّ أبي تَرَكَ دَيْنا عليه ... وليْسَ عنــدي ما أفيه (أُؤدّيه) به إلاّ ما يُخْرِجُه ثمرُ نخيله ، ولو عَمَدْتُ إلى وفـاء دَينه من ذلك الثمر ، لَمَا أدّيتُه في سـنين ولا مال لأخواتي أُنْفِقُ عليهنّ منه غيرَ هذا ...

فقام رسول الله ، ومَضَى مَعِيَ إلى بَيْدَرِ تمرنا ، وقال لي : " أُدْعُ غرماءَ أبيكَ " ، فَـدَعَوْتُهُمْ ... فما زال يَكِيْـلُ لهم منه حتّى أدَّى الله عن أبي دَيْنَه كُلَّه من تمر تلك السـنة ... ثمّ إنّي نظـرتُ إلى البيـدر فوجدته كما هو ... كأنّما لم تنقص منه تمـرةٌ واحدة ... (القصّة مأخوذة من كتـاب : صـور من حيـاة الصـحابة لمؤلفه : عبد الـرحمن رأفت الباشا) .

وقد وقعت أثناء حفر الخندق آيات من أعلام النُبُوّة . منها :

رأى جـابر بن عبد الله رضي الله عنهما في النـبيّ خَمَصَـا (جوعا) شـديدا ، فاستأذن وذهب إلى بيته فذبح بهيمة ، وطَحَنت امرأتُه صاعا من شـعير . ثمّ عـاد إلى النـبيّ ، وأسـرّ له بـالأمر ، وطلب منه أن يـأتي في نَفَـرٍ من أصـحابه ، (وكيف يأكل النبيُّ وأصحابه جياع حوله ؟!) فنادى النبيُّ بجميع أهل الخندق ، وكانوا نحوا من ألْف ، فـدعا النـبيّ على الطعـام وبـارك ، فـأكلوا جميعا من ذلك الطعـام وشـبعوا ، وأطعمـوا من حـولهم من الجـيران ، وبقي أصل الطعـام كما هو . القصة في صـحيح البخاري .

وروى ابن هشـام في السـيرة : أنّ أختَ النعمـان بن بشـير جـاءت بحَفْنَة من تَمْرٍ إلى الخندق ليتغدى به أبـوه وخاله ، فمَـرَّت برسـول الله ، فطَلَبَ منها التَمْـرَ ، وبَدَّدهُ فوق ثوب ، ثمّ دعا أهل الخندق ، فجعلوا يأكلون والتمرُ يزيدُ ، حتى صـدر أهل الخندق عنه ، وإنّه ليسقط من أطراف الثوب .

وعن البراء قال : لمّا كان يوم الخندق ، عَرَضَتْ لنا في بعض الخنـدق صـخرة لا تأخُذُ منها المعاول ، فاشتكينا ذلك لرسول الله ، فجـاء وأخذ المعـول ، فقـال : " **بسم الله** " ثمّ ضَرَب ضربة ، وقال : " **الله أكبر ، أُعطيْتُ مفـاتيح الشـام ، والله إنّي لأنظر إلى قصورها الحُمْرِ الساعة** " ، ثمّ ضرب الثانية فقطع آخر ، فقـال : " **الله أكـبر ، أُعطيْتُ فـارس ، والله إنّي لأبصر قصر المـدائن الأبيض الآن** " ، ثمّ ضـرب الثالثة ، فقـال : " **بسم الله** " ، فقطع بقيّة الحَجَر ، فقال : " **الله أكبر ، أُعْطيْتُ مفاتيح اليمن ، والله إنّي لأبصر أبواب صنعاء من مكاني** " . الحديث مروي في سنن النسائي ، ومسند أحمد .

وعن عبد الله بن مسعود قـال : ولقد رأيتُ المـاءَ ينبع من بين أصـابع رسـول الله . رواه البخاري . (أكثر العلماء أن معناه : أنّ الماء كان يخرج من نفس أصابعه . وقيل : يحتمل أنّ الله كَثَّر الماءَ فصار يفور من بين أصابع النبيّ) .

 وفي غزوة تبوك :

قال معاذ بن جبل : ثمّ غرف (أي : الرسول) من العَيْن (عين تبوك) قليلا قليلا ، حتى اجتمع الوَشْلُ (القليل من ماء النبع) ، ثمّ غسل رسـول الله فيه وجهه ويـده ، ثمّ أعاده فيها ، فجرت العينُ بماء كثير ، فاستقى النـاس . ثمّ قـال رسـول الله : " **يوشك يا معاذ ، إنْ طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مُلئ جنانا** " . رواه مسلم .

وبعثَ رسولُ الله خالد بن الوليد إلى أُكَيْدَر دُوْمَة الجنـدل (أيّـام غـزوة تبـوك) على رأس مجموعة من فرسان المسلمين ، وقال له : " **إنّك ستجده يصيد البقر** " . فأتاه خالد ومن معه ، **فوجده كما وصف النبيّ** . فأخذه خالد ، وجـاء به إلى رسول الله .

 في طريقهم إلى خيبر ، كان عامر بن الأكوع يحدو بين يدي النبيّ ، فقــال : " **يرحمه الله** " . قال رجلٌ من القوم : وَجَبَتْ يا نبيّ الله ؛ لولا أمتعتنا به ! . رواه البخاري . (وكانوا يعرفون أن رسول الله ما كان يسـتغفر لإنسـان يخصّه إلاّ استشهد ذلك الإنسان . وقد استشهد عامر في خيبر) .

 إبراء المرضى :

فقد تفل في عين علي بن أبي طــالب (يــوم خيــبر) وكــانت رمــداء ، فــبرئت لساعتها بإذن الله ، حـتى كـأن لم يكن به وجع . رواه البخـاري ومسـلم . وعن علي بن أبي طــالب : ما رَمِــدْتُ منذ تَفِــلَ النــبيُّ في عيــني . رواه أحمد . وتفل على جــرح الصحابي الحارث بن أوس فبرأ . (وذلك يوم قَتَـلَ كَعْبَ بن الأشـرف النضـري ، وهو من أشدّ يهود خطرا على الإسلام ، وبعد أن شَبَّبَ بنساء المسلمين ، وتهجّم على مقـام النـبيّ) . رواه البخاري .

وعن عبد الله بن عَتِيْك قـال : فحدّثْتُـهُ (حَـدَّث النـبيَّ بخـبر قَتْـلِ سَـلاّمَ بن أبي الحُقَيْق / من أكابر مجرمي يهود خيبر ، والذين حَزَّبُـوا الأحـزاب ضـدّ المسـلمين ، وكـان يـؤذي رسول الله) ، وأصيب عبد الله يومها بكَسْرٍ في رجْلِه ، فقـال : " ابسُـط رجلك " فبسطت رجلي ، فمسحها فكأنّما لم أشتَكِها . صحيح البخاري .

 تسبيح الطعام ، وتسبيح الحصى بين يديه .

 تكليم بعض الحيوانات له (كما في حديث الجمل ، والقبّرة ، وغيرها) .

 استجابة الـدُعاء : وذلك كثـير مشـهور متـواتر ، وفي مـواطن كثـيرة ، وأزمـان متعدّدة .

 حنين جذع النخلة . عن جابر قال : كـان جِـذْعٌ يقـوم إليه النـبي ، يعـني في الخُطْبَة ؛ فلمّا وُضع المنبر ، سمعنا للجذع مثلَ صوت العِشَار ، حتى نزل النبي ،

فوضع يـده عليه فسَـكَنَ ! . قـال : بَكَتْ على ما كـانت تسـمع من الـذِكر . رواه البخاري .

 الإنباء بالغيب (الماضي ، والحاضر ، والمستقبل) . فوقعت كما أخبر عنها النــبيُّ .

قال : الم * غََلِبت الـرومُ * في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبِهم سَـيَغْلِبُون * في بِضْـع سِـنين لله الأمـرُ من قبل ومن بعد ويومئذ يفـرحُ المؤمنون * بنصر الله ينصُرُ من يشاء وهو العزيزُ الرحيم . الروم : 1ـ5 . قال عكرمة : لمّا نزلت هـذه الآيـات ، خـرج أبو بكر الصـدّيق إلى الكفّـار ، فقـال : أفَـرِحْتُم بظهـور إخـوانكم على إخواننا ، فلا تفرحـوا ولا يُقـرنّ اللـهُ أعينَكم ، فوالله ليُظهرنّ اللهُ الرومَ على فارسٍ ، أخبرنا بذلك نبيُّنا ... فظهـرت الـرومُ على فـارس في الأجل المُحدّد . (البضع : مابين الثلاث إلى التسع) .

وقد تحققت بشارة النبيّ لسراقة أثناء الهجرة النبويّة . وتحققت بشاراته التي بَشَّـرَ بها أثناء حفر الخندق ، حيث بلغ الإسلام بلاد الشام ، وفارس ، واليمن .

وقـــال رســـول الله : " لتَفْتَحُنَّ القُسْــطَنْطِيْنِيَّة ، ولنِعْمَ الأمــيرُ أميرها وَلَنِعْمَ الجيشُ ذلك الجيش " . رواه الإمـــام أحمد وغـــيره . وتحققت بشـــارة الرســـول بفتح القسطنطينية حيث حاصرها السلطان العثمانيّ محمد الفـاتح (محمد الثـاني) **وفُتِحَت المدينة في العشرين من جمـادى الأولى سـنة 857هــ الموافق لــ 29 من أيار عام 1453م** . وأصبحت هذه المدينة عاصمة للدولة العثمانية .

 عناية الله به ، قـال : والله يعصـمك من النـاس . **المائـدة : 67** .

وسنتطرق إلى ذلك في فقرة محاولات الاغتيال التي تعرّض لها .

فصل في ذكر هلاك المستهزئين بمكة .

ورد في كتاب : دلائل النبوة / للطبراني

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : إنّا كَفَيْناك المستهزئين . قال : المستهزءون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبدالعزى ، والحارث بن غيطل السهمي ، والعاص بن وائل .

فأتاه جبريل عليه السلام ، فشكاهم إليه رسول الله ، فأراه الوليد بن المغيرة ؛ فأومأ جبريل إلى إبجله . فقال : ما صنعت شيئا ! قال : كفيتكه . ثم أراه

الحارث بن غيطل السهمي ؛ فأومأ إلى بطنه ، فقال : ما صنعت شيئا ! قال : كفيتكه . ثم أراه العاص بن وائل السهمي ؛ فأومأ إلى أخمصه ، فقال : ما صنعت شيئا ! فقال : كفيتكه .

فأما الوليد بن المغيرة ؛ فمرّ بِرَجُلٍ من خزاعة وهو يريش نبلاً له ، فأصاب إبجله ، فقطعها .

وأما أسود بن المطلب فعمي ؛ وذلك أنه نزل تحت شجرة فقال : يابني ألا تدفعون !؟ إني قد قُتِلْتُ . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئا . فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني !؟ هلكتُ بالشوك في عيني ... فجعلوا يقولون : ما نرى شيئا ... فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها . وأما الحارث بن غيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج من فيه ، فمات منه . وأما العاص بن وائل ، فبينما هو يمشي إذ دخلت في رجله شبرقة حتى امتلأت منها ، فمات .

(قال الطبراني رحمه الله : الأبجل :عرق في اليد . شبرقة : شوكة . امتلأت : انتفخت وورمت .) .

وعن قتادة قال : قال عتبة بن أبي لهب : كفرتُ بربّ النجم . فقال له رسول الله : أما تخاف أن يأكلك كلب الله ؟!. قال : فخرج في تجارة ، فبينا هم قد عرسوا (جلسوا للاستراحة ، قيل قرب الزرقاء في الأردن) ، إذ سمع صوت الأسد ؛ فقال لأصحابه : إني مأكول ... فأحدقوا به ، وضُرب على أصمختهم ، فناموا ... قال : فجاء الأسدُ حتى أخذه من بينهم ، فما سمعوا إلا صوته وقد قضى عليه .

الرسول والوصيّة بالنساء

عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله : " **أنا وكَافِلُ اليَتِيمِ في الجنّة هكذا** " ؛ وأشار بالسَبَّابة والوُسْطى ؛ وفَرَّجَ بينهما . رواه البخاري . (كافل اليتيم : القائم بأموره ، اليتيم : الصغير ـ ذَكَرًا كان أو أُنثى ـ الذي مات أبوه) .

عن أمّ المؤمنين الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : دَخَلَتْ عَلَيَّ امرأةٌ ومعها ابنتان لها تَسْأل ، فلمْ تَجِدْ عندِي شيئا غيرَ تَمْرَةٍ واحدةٍ ، فأعْطَيْتُها إيّاها ، فَقَسَمَتْها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثمّ قامت فخرجتْ . فدَخَل النبيّ عَلَيْنا ، فأخبَرْتُه ؛ فقال " **مَن ابْتُلِيَ مِنْ هذه البناتِ بشيءٍ فَأَحْسَنَ**

إليْهِنَّ كُنَّ لهُ سِتْرا من النار " . متفق عليه . (ابتلي : اختبر . أشار الحـديث إلى فضل رعاية البنات ، وأنّهنّ سبب في إنقاذ من يُحْسِنُ رعايتهنّ وتربيتهنّ من النار) .

وعن أبي هريرة قال : قـال رسـول الله : " **لا يَفْرَكْ مُـؤمنٌ مُؤمِنـةً، إنْ كَرِهَ منها خُلُقا رَضِيَ منها آخر** " أو قال : " **غَيْرَه** " . رواه مسـلم . (لا يَفْـرَك : لا يُبْغِضْ) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النــــبيّ قــــال : " **كُلُّكم راعٍ ، وكُلُّكُم مسْؤولٌ عنْ رَعِيَّتِه ، والأميرُ راعٍ ، والرَجُلُ راعٍ على أهل بيْتِه ، والمـرأةُ راعِيَةٌ على بيْتِ زوجها وَوَلَدِهِ ، فَكُلُّكُم راعٍ وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رَعِيَّتِه** " . متفق عليه . (من فوائد الحديث : أنّ الرجل والمرأة شريكان في الحياة الزوجيّة ، ويجب على كلّ منهما أن يقوم بواجبه نحو الآخر) .

وفيما يرويه عَمْـرو بن الأحْـوَصِ الجُشَـمِيّ أنّه سـمع النـبيَّ في حَجَّةِ الـوَدَاع يقـول : " **ألا واستوصـوا بالنِسـاء خـيرا ... ألا وحَقُّهُنَّ عَلَيْكُم أنْ تُحْسِـنوا إلَيْهِنَّ في كِسْوَتِهِنَّ وطَعامِهِنَّ** " . رواه الترمذي ؛ وقال : حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريـرة قـال : قـال رسـول الله : " **أكْمَـلُ المؤمـنينَ إيْمَانـاً أحْسَنُهُمْ خُلُقا ، وخِيَارُكُمْ خِيـاَرُكُم لِنِسـائِهِمْ** " . رواه الترمـذي ؛ وقـال : حـديث حسن صحيح .

وعن عبد الله بن عمـرو بن العـاص رضي الله عنهما أنّ رسـول الله قـال : " **الدُنْيَا مَتَاعٌ ؛ وخَيْرُ مَتاعِها المَـرْأةُ الصـالحةُ** " . رواه مسـلم . (متـاع : أيّ شـيء يتمتع به حينا من الوقت ثمّ يزول . المـرأة الصـالحة : فسـرها النـبيُّ بقوله " **إذا نَظَرَ إليها سَرَّتْه ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله** ") .

وأخيرا ... عن أمّ المؤمنين أمِّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ زوج النبيّ ، قالت : قـال رسول الله : " أَيُّمَا امـرأةٍ مـاتَتْ وزَوْجُها عنها راضٍ دَخَلِت الجنَّةَ " . رواه الترمـذي ؛ وقال : حديث حسن .

فصل في بعض ما اختص به النبيّ

 قال حبيبنا رسـول الله محمد : " **فُضِّلْتُ على الأنبيـاء بِسِـتٍّ : أُعْطِيْتُ جوامِـعَ الكَلِمِ ، ونُصِـرتُ بـالرعْبِ ، وأُحلَّت لي الغنـائم ، وجُعِلَتْ لي**

الأرضُ طَهــورا ومَسْــجِدا ، وأرســـلتُ إلى النـــاس كافّة ، وخُتِمَ بيَ النبيّون " . رواه مسلم .

- وقال : " **أنا سيّد وَلَد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لـواء الحمد ولا فخر ، وما من نــبيّ يومئذ آدم فمن سـواه إلاّ تحت لـوائي** " . رواه مسلم ، والترمذي : واللفظ له ، وأبو داود ، وابن ماجه ، وأحمد .
- بُعِثَ كلُّ نبيٍّ إلى قومِه خاصّة ، وبُعِثَ رحمة للعالمين كافّة بشيرا ونذيرا .
- تكليفه بالقتال ولو كان وحده فقاتِلْ في سبيل الله لا تُكلّفُ إلا نفسَك . النساء : 84 .
- في صـحيح مسـلم ، قـال النـبيّ : " **نُصِرْتُ بـالرعْبِ ، و أُوْتِيْتُ جَوامِـعَ الكَلِم** " .
- كان يَرَى من خلفه كما يرى من أمامه . عن أبي هريرة قـال : قـال رسـول الله : " **فوالله لا يخفى عَلَيَّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إنّي لأراكم من وراء ظهري** " . والحـديث في الصـحيحين . وعن أنس قال : كـان رسـول الله يُقْبلُ علينا بوجهه قَبْل أن يُكبّر ، فيقـول : " **تراصّوا واعتـدلوا ، فـإنّي أراكم من وراء ظهري** " . والحديث في الصحيحين .
- بين كتفيه خاتم النبوّة ، وهو خاتم النبيّن ، ورسالته خاتمة الرسالات .
- وصل إلى مقـــام عند الله لمْ يصل إليه أحـــدٌ من الخلق (معجـــزة الإســـراء والمعراج) ، حتى تجاوز الكونَ كلَّه ، وكان عند سدرة المنتهى : عندها جنّة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى .
- يقبل الهديّة ولا يأكل الصــدقة ، هو وأهل بيته (أي : يشــترك معه آل النــبيّ بهــذه الميزة) .
- وجوب قيام الليل بحقّه .
- كـانت تنـام عينـاه ولا ينـام قلبه . عن أمّ المؤمـنين الصِـدِّيقة بنت الصِـدِّيق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قـالت : .. فقـال (أي الرسـول) : " **يا عائشة إنّ عيـنيَّ تنامان ، ولا ينامُ قلْبِي** " . متفق عليه .
- الوِصَال في الصـوم . في حين نهى أصـحابه عن المواصـلة . عن أمّ المؤمـنين الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : نهاهم النبي عن الوِصال رحمة لهم ، فقالوا : إنّك تواصل ؟ قال : " **إنّي لستُ كهـيئتكم ، إنّي أبِيْتُ يُطعمني ربّي ويسقيني** " . متفق عليه .
- " **إنّي أرى ما لا ترون** ... " . أخرجه الترمذي .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : " **...فَلَمْ تَحِلَّ الغنائمُ لأحَدٍ قبْلَنا ، ثمّ أحَلَّ اللهُ لنا الغنائمَ لمَّا رأى ضَعْفَنا وعَجْزَنا فأحَلَّها لنا** " . متفق عليه .

قال : ﴿ إنّا أعْطَيْناكَ الكوثرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ ۞ إنَّ شانِئَكَ هوَ الأبْتَرُ ﴾ . عن أنس بن مالك أنّ رسول الله قال : " **أتدرون ما الكوثر** ؟ " قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : " **فإنّه نهر في الجنّة وَعَدَنِيْه ربّي عزّ وجلّ عليه خير كثير ، هو حوض تردُ عليه أمتّي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم في السماء ، فيختلج العبد منهم ، فأقول : ربّ إنّه من أمتي ، فيقول : إنّك لا تدري ما أحدث بعدك** " . أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي . (فالحذر الحذر أيّها الأخ الكريم أن نكون ممن تختلجهم الملائكةُ وتبعدهم عن حوض النبيّ) .

ثم إنّ الله نادى الأنبياء بأسمائهم ، ولمْ يناده بالاسم ، بل ناداه بالوصف . فقد خاطبه في مواضع عدة بقوله : ﴿ يا أيها الرسول ﴾ و ﴿ يا أيها النبي ﴾ . تشريفا له وتكريما .

حُسن صنيعه ، وحلّه للمشكلات الطارئة

نعرض في هذه الفقرة لبعض ما كان يتصف به النبيّ من البراعة في الحكمة والسياسة وتدبير الأمور ، وذلك كأثر من آثار رعاية الله له قبل البعثة وبعدها . فما من تصرّف تصرفه إلاّ فيه غاية الحكمة وبُعد النظر والتوفيق .

بناء الكعبة ، ووضع الحجر الأسود

أرادت قريش تجديد بناء الكعبة . فلمّا وصلوا إلى الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه ، واستمر الاختلاف والنزاع حتى كادوا يقتتلون وتقوم فتنة لا يُعلم مداها ومنتهاها ، فارتضوا أن يحتكموا لأول من يدخل من باب المسجد . وشاء الله أن يكون ذلك هو رسول الله ، (وذلك قبل البعثة ، وكان له من العُمُر نحوا من خمس وثلاثين سنة) فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ؛ رضيناه .

فلمّا انتهى إليهم ، وأخبروه الخبر ، طلب رداءً فوضع الحجرَ وسطه ، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يُمْسكوا جميعا بأطراف الرداء وأن يرفعوه ، ووضعه

مكانه بيديه الشريفتين . وكان هـذا من حكمته ، فـانتهت المشـكلة ، ورضي القـوم كلّهم بذلك .

إطفـاء نـار الفتنة بين الأوس والخـزرج رضي الله عنهم أجمعين .

فيما ذكره ابن اسحاق : أنّ اليهوديّ شـاس بن قيس ، مـرّ على ملأ من أصـحاب النبيّ من الأوس والخزرج ، فغاظه ما رأى من تآلفهم ووحـدتهم وصـلاح ذات بينهم بعد الإسلام . فأرسل إليهم من جلَس بينهم وصـار يُـذكّرهم بيـوم بُعـاث وأيـامهم في الجاهليّة وما قيل فيها من شِـعْر ، حـتى صـاروا يتفـاخر بعضـهم على بعض ، إلى أن عملت فتنة اليهـوديّ فيهم فعلتها ، فتواثبـوا وامتشـقوا السـلاح واصـطفوا للقتـال ... فبلغ ذلك رسـول الله ، فخـرج إليهم فيمن معه من أصـحابه من المهـاجرين حـتى جـاءهم ، فقـال : " **يا معشر المسـلمين ، الله الله ، أبـدعوى الجاهليّة وأنا بين أظهـركم بعد أن هـداكم الله للإسـلام ، وأكـرمكم به ؟! وقطع به عنكم أمر الجاهليّة ، واسـتنقذكم من الكفر ، وألَّف بين قلـوبكم** ؟! " . فعرف القوم أنّها نزغة من الشيطان ، وكيد عدوّهم ، فبكـوا ، وعـانق بعضـهم بعضا ، ثمّ انصـرفوا مع الرسـول سـامعين مطيعين ، بعد أن مَنّ الله بإطفـاء نـار الفتنة على يد النبيّ .

معالجته قـول المنـافقين : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزّ منها الأذلّ

وذلك عنـدما كـان النـبيُّ والمسـلمون رضي الله عنهم يقيمـون على مـاء المُرَيْسِيع بعد الفراغ من غزوة بـني المصـطلق ، وحَـدَثَ ازدحـام على المـاء ، وكـاد بعضهم أن يُشعل فتنة . فكان من زعيم المنافقين عبد الله بن أُبيّ بن سلول أن قال : أما والله ، لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْـرِجَنَّ الأعـزُّ منها الأذلَّ . فبلغ قولُه النـبيَّ ، وعنده عمر بن الخطّاب . فقال عمر : مُرْ عبّاد بن بشر فَلْيَقتله . فقال : " **فكيف يا عمر إذا تحـدّث النـاسُ أنّ محمّـدا يقتل أصـحابه ؟ لا . ولكن أذِّنْ بالرحيل** " ، وذلك في سـاعة لم يكن يرتحل فيها ، ثمّ مشى بالنـاس يـومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يـومهم ذلك حـتى آذتهم الشـمس ثمّ نـزل بالناس ، فلم يلبثوا أنْ وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياما . **فَعَلَ ذلك ليشغل الناسَ عن الحديث** .

في صلح الحُديبية

لمّا صدّت قريشٌ النبيَّ والمسلمين ـ رضي الله عنهم ـ عن البيت الحرام ، عقد معهم صُلْحا . وكان من قواعد الصلح : من أتى محمدا من قريش من غير إذن ولِيِّه ـ أي هاربا منهم ـ ردَّه عليهم ، ومن جاء قريشا ممّن مع محمد ـ أي هاربا منه ـ لم يُردّ عليه .

هذا الشرط الذي أغضب المسلمين . فقال لهم رسول الله : " **إنّه من ذهب منّا إليهم فأبعده اللهُ** " . وقال : " **ومن جاءنا منهم سيجعلُ اللهُ له فَرَجًا ومَخْرَجا** " . صحيح مسلم / باب صلح الحديبية .

هذا الشرط ، وإنْ كان مظهر الاعتزاز لقريش ، لكنّه في الحقيقة يُنْبِئ عن شدّة انزعاج قريشٍ وهلعهم وخَوَرِهم ، وعن شدّة خوفهم على كيانهم الوثنيّ الذي بات على شفا جُرُفٍ هار . وأمّا رسول الله فوضع هذا الشرط ... وما كان يخشى من مثل هذا الشرط . فلمّا قال له عمر بن الخطّاب : ففيمَ نُعْطِي الدَنِيّة في ديننا ؟! قال : " **يا بن الخطاب ، إنّي رسول الله ولستُ أعصيه ، وهو ناصري ولنْ يُضِيِّعني أبدا** " .

وقد تَفَلَّتَ أبو بصير ـ وكان يُعَذّب في مكّة بعد إسلامه ـ من قريش ، فأتى المدينة . فأرسلت قريش رَجُلَيْن في طلبه ، فدفعه إليهما ، فخرجا به حتّى بلغا ذا الحُلَيْفة (ما يُعْرَف بآبار عليّ اليوم) ، فأخذ أبو بصير سيفَ أحدهما وقتله ، وفَرَّ الآخر . فجاء أبو بصير وقال : يا نبيّ الله ، قدْ واللهِ أوْفَى اللهُ ذمّتَك ، قد رددتني إليهم ، ثمّ أنجاني الله منهم . قال رسول الله : " **ويل أمّه ، مِسْعَرَ حَرْبٍ لو كان له أحد** " . فلمّا سمع ذلك عرف أنّه سيردّه إليهم . فخرج حتى نَزَلَ العِيْصَ من ناحية ذي المَرْوَة على ساحل البحر ، بِطَرِيْقِ قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام . وسمع بذلك المسلمون الذين كانوا احتبسوا بمكّة ، فخرجوا إلى أبي بصير ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، حتى صار لهم شأن ؛ فما يسمعون بِعِيْر (قافلة) خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها . فأرسلت قريشٌ إلى النبيّ تناشده الله والرَّحِم لَمَا أرسل إليهم ، فمن أتاه فهو آمِنْ . فأرسل النبيُّ إليهم ، فقدموا عليه المدينة .

عفوه وأمانته

عندما دخل رسول الله مكّة فاتحا ، وبعد أن صلى في الكعبة ، خطب أمام قريش وقد اجتمعوا في البيت . وكان ممّا قاله لهم : " **يا معْشَرَ قريش ، ما ترون أنّي فاعل بكم** ؟ " قالوا : خيرا . أخٌ كريم وابن أخ كريم . قال : " **فإنّي أقول لكم كما قال يوسف لإخوته :** لا تثريب عليكم اليوم **اذهبوا فأنتم الطلقاء** " .

ثمّ جلس رسـول الله في المسـجد ... فقـال : " أين عثمـان بن طلحة ؟ " . فدُعي له . فقال : " **هاك مفتاحك يا عثمان** (مفتـاح الكعبة) **، اليومُ يـومُ بِـرٍّ ووَفَاء** " . .

** الأنصار** (رضي الله عنهم) **تَجِدُ على رسول الله **

وذلك بعد غزوة الطائف ، حين أعطى الناسَ ـ خاصة المؤلّفة قلوبهم ـ عطاء من لا يخاف الفقر . وكانت الأعطيات في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ... حتى قال قائلهم : لقيَ واللهِ رسولُ الله قومَه . وصوّرت لهم أنفُسُهم أن النبيّ قد أدركته محبّة قومه وبني وطنه ! فنسي في جنبهم الأنصار ! ..

ووصل الخبر إلى النبيّ . فجمعهم وحدَهم ، وخطب فيهم خطبة رائعة ضَمَّنها أدق خفقات قلبه وألطف إحساساته ، خاطبت المشاعر فهزّتها ، ونفضت عنها ما عَلِقَ بها من وساوس ، وداعبت العواطف والعقول والأفئدة ... خطبة مُحِبّ رؤوف رحيم ، جبرت منهم القلوب ، وطيبت الخواطر ، وهدّأت النفوس . ومما جاء في خطبته : " **أوَجَدْتُم يا معشرَ الأنصار في أنفسكم في لَعَاعَة من الدنيا تألّفتُ بها قوما لِيُسْلِموا ، ووَكَلْتُكم إلى إسلامكم ؟! ألا ترضوْن يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنتُ امرأ من الأنصار ، ولو سَلَك الناسُ شِعْبا ، وسَلَكَت الأنصارُ شِعبا ؛ لسلكتُ شِعْبَ الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار** " . فارتفعت أصواتهم بالبكاء فرحا بنبيّهم ، وابتهاجا بقسمتهم ونصيبهم ، وبكى القوم حتّى أخْضَلُوا لِحَاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسْمًا وحظّا .

وهذا يُبَيِّن فضل الأنصار رضي الله عنهم ، ومدى محبّة النـبيّ لهم .

في نهاية هذه الفقرة ، لا بُـدّ من الإشـارة إلى أن ما كـان يتصف به النـبيّ من البراعة في الحكمة والسياسة وتدبير الأمور ، إنّما هو أثر من آثار رعاية الله لعبـده وحبيبه ونبيّه محمد قبل البعثة وبعدها ، **وصفة من صفات النُبّـوة ملازمة له .**

فهو بشر كسائر البشر من النواحي البشريّة ، ولكنّه كما أسلفنا على قمّة الكمال في كلّ مناحي حياته ، وامتاز على باقي الخلق بأنّه خاتم الأنبياء والمرسلين .

محاولات قتله واغتياله

قال : والله يعصمك من الناس . المائدة : 67 . والمراد من العصمة هنا ـــ والله أعلم ـــ أن لا تطول إليه يدٌ تتمكّن من اغتياله وقتله ، لِتُغتال فيه الدعوة الإسلاميّة التي بُعِثَ لتبليغها . وإلاّ ، فمن حيث تعرّضه للأذى ، فإنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشدّ الناس ابتلاء .

وأمّا مُحاولات قتله ، فكثيرة مشهورة . ولكنّ الله حماه من تلكم المحاولات .

حيث حاول أعداؤه من مشركي العرب ، واليهود ، والمنافقين ، قتله . ومن تلك المحاولات :

 محاولات عديدة قام بها رجال من مشركي قريش فرادى ومجتمعين ، قبل الهجرة وبعدها ، مثل : (عزْم أبي جهل ـ فرعون الأمّة ـ على قتل رسول الله . حيث عاهد قريشا على قتل النبيّ بفضخ رأسه بحَجَرٍ وهو يصلّي قرب الكعبة . ولكن الله ألقى في قلب أبي جهل الرعب ، وحفظ نبيّه ومصطفاه . وكذلك محاولة الشبّان الأشدّاء من قبائل قريش وبتدبير من زعمائهم ، فأحاطوا ببيت النبي لقتله ، وذلك ليلة هجرته ، ولكن الله صرف أبصارهم عن رؤية النبيّ ، حينما خرج من بين أظهرهم ، وحثى على رؤوسهم التراب . كما حفظه وصاحبه الصدّيق في غار ثور ، من الطلب وقصّاص الأثر ، الذين وصلوا عند باب الغار . وحادثة سراقة بن مالك معروفة مشهورة) .

 محاولة عمير بن وهب الجمحي ، بالتنسيق مع صفوان بن أميّة (أسلما فيما بعدُ) ، وذلك بعد غزوة بدر الكبرى حيث اتفقا في مكّة على خطّة لقتل النبيّ . وقبل وصول عمير المدينة أخبرَ اللهُ نبيَّه الخبرَ. فلما وصل عمير المدينة قُبِضَ عليه ، واعترف بالأمر ، وأسلم بين يدي النبيّ .

 وصول بعض فرسان قريش إليه يوم أُحُدٍ ، بقصد قتله ، فأصابوه إصابات بليغة ـ بعد أن تخلّى الرماة من المسلمين عن مواقعهم ـــ ولكنّ الله سبحانه حفظه ونجّاه من بين أيديهم .

- محاولة رجل من المشركين اغتياله وهو نـائم في ظـلّ شـجرة في غـزوة ذات الرقاع ، قِبَلَ نجْدٍ . ففي صحيح مسلم : فقال رسول الله ﷺ : " إنَّ رجُلا أتاني وأنا نائم ، فأخذَ السيفَ ، فاستيقظتُ وهو قائم على رأسي ، فلم أشـعُر إلاّ والسـيفُ صَلْتًا في يده ، فقال لي : مَنْ يمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قال : قلتُ : الله . ثمّ قال في الثانية : من يمنعك منّي ؟ قال : قلتُ : الله . قال : فَشَامَ السيفَ ، فها هو ذا جالس " .
(صلتا : مسلولا ، شام السيف : أغمده) .
- محاولات اليهود الغدر به وقتله ، ومنها :
- محاولة يهود بني النضير إلقاء صخرة عليه من فـوق جـدار كـان يسـتند إليه ... فجـاء رسـول الله ﷺ الخـبرُ بما همّـوا ، فنهض سـريعا كأنه يريد حاجة ، وتوجّه إلى المدينة . ولحقه أصـحابه ، فقـالوا : يا رسـول الله قُمتَ ولم نشْـعر ! قـال : " **همّت يهودُ بالغدر ، فأخبرني الله بذلك ؛ فقمتُ** " .
- ومنها : محاولة تسميمه بعد غزوة خيبر . ففي صحيح البخاري عن أمّ المؤمنين الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت : كان النبي ﷺ يقـول في مرض موته الذي مـات فيه : " **ياعائشة ما أزال أجد ألم الطعام الـذي أكلتُ بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَري من ذلك السمّ** " (يشير بذلك إلى الشاة المصليّة التي قـدمتها له زينب بنت الحـارث / زوج سـلام بن مشـكم الـتي أسلمت فيما بعد ، وأكثرت السمّ في ذراع الشاة ـ أحب أجزاء الشاة إليه ـ وذلك بعد غزوة خيبر) . وقد مات رسول الله ﷺ شهيدا .
- محاولة اثني عشر منافقا اغتياله في طريق عودته من غزوة تبوك .
- وقد حفظه مولاه ، جسدا وروحا ؛ حيا وميتا .

قال ﷺ عن نفسه وإخوانه من الأنبيـاء : " **إن الله حـرم على الأرض أجسـاد الأنبياء** " .

وقد ردّ الله كيد أعدائه الذين حاولوا سرقة جسده الطاهر الشريف ، وذلك أيّـام حكم نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله .

ففي كتاب **الكواكب الدُريّة في السيرة النُوريّة** (تـاريخ السـلطان نـور الـدين محمود بن زنكي) لمؤلفه بدرالدين ابن قاضي شهبة (779 ـ 851 هـ / 1377 ــ 1448 م) : أنّ السلطان الملك العادل نـور الـدين محمـود بن زنكي وصل إلى المدينة النبويّة سنة 557 هـ لرؤيا رآها ، حيث رأى النبيَّ ﷺ ثلاث مرّات في ليلة واحدة ، وهو ﷺ يقـول له في كلّ مرّة : يا محمود أبعدني عن هذين الشخصين ، يُشير إلى أشقرين تجاهه . فقصّ السلطانُ الرؤيا على وزيره واستشاره بالأمر (وكان رجل صدق وتقوى) ، فقـال

له الوزير : هذا أمر جلل ؛ وكرامة من الله تعالى ، لا ينبغي أن يتصـدى له غـيرك أيها السلطان .

فارتحل السلطان من فوره بصحبة الوزير الناصح مُيَمِّما نحو المدينة المُنوّرة ... فلمّا دخل المدينة على غفلة من أهلها ، قال : لا يبقى أحد في المدينة إلاّ جـاء . فلم يبق إلاّ رجلان مجـاوران من أهل الأنـدلس نـازلان في الناحية الـتي هي قبلة حجـرة النـــبيّ ، وامتنعا من المجيء بداية ، فَجَـــدَّ في طلبهما ، فجيء بهما ... فلمّا رآهما عرفهما ، فســألهما ... فـــأقَرّا أنّهما من النصـــارى ، وأنّهما أرادا نقل من في هـــذه الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهم . فوجـدهما قد حفـرا نقبا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبليّ ، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة . فأمر بهما فضربت أعناقهما شرقيّ حجرة النبيّ . رحم الله السلطان نور الدين محمـود بن زنكي .] القصّـة مأخوذة من المرجع المذكور بتصرف [.

أقول : ألا يُسْتنتج من هذه الحادثة ، على ما فيها من غدر وخيانة ومكيدة ، أنّ هؤلاء الذين أرادوا فعل هذه الفعلة الشنيعة الخسيسة ، كانوا يعرفون أنّ هـذا الجسد هو جسد نـبيّ كـريم ، وكانوا على يقين من الحديث : **" إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبيــاء "** ؟! ففعلتهم كانت بعد وفـاة النـبيّ بـأكثر من خمس مئة عـام . ثمّ تُـبيّن القصّـة أنّهم كـانوا يعرفـون مكانة النبيّ عند المسلمين ؛ ومدى محبّة المسلمين لنبيّهم وحبيبهم محمد .

وفي التـاريخ : لمّا أعلن ألفونسو السـادس ملك قشـتالة الحـرب على طليطلة سنة 472هــ ، وبعد سـقوطها بيـده عـام 478هــ أثنـاء فـترة ملـوك الطوائف ، جعل ألفونسو طليطلة عاصـمةَ إسـبانية (بـدل الأنـدلس) وعلى يـده بـدأت تظهر مملكة البرتغــال . وأخــذت الأســرُ الحاكمة المتعاقبة في البرتغــال تهتمّ بــأمر الكشــوفات الجغرافيّة ، ونشر النصرانيّة في البلاد المجاورة ، واشـتهر فيهم فاسـكودوغاما الـذي وَصَلَ إلى جنوب أفريقية ، ومن ثَمَ إلى الهند ، ونَهَبَ خيرات البلاد التي وصل إليها .

وبـنى البرتغـاليّون أسـطولا بحريّا ضـخماً لتحقيق أهـدافهم ، واسـتطاعوا احتلال سبتة (قاعدة انطلاق المسلمين في بلاد المغرب لفتح الأندلس) عام : 818هـ / 1415م .

وهكـذا ، ففي الـوقت الـذي ضـعفت فيه الـروح الصـليبيّة في أوروبة كلّها ، فإنّها أخذت تنتعش في البرتغال (كما هي اليوم في أمريكا وبريطانيا ...) .

وكان أحد قادة الكشوف الصليبيّة واسمه ألبوكيرك يريد الوصول إلى المدينة المنوّرة لِخَطْفِ جسد النبيّ ثمّ مساومة المسلمين عليه ، مقابل تخَلِّيهم عن فلسطين . وأراد كذلك تحويل مجرى النيل ، كي تُحرم مصر من خيراته فيتمّ هلاكها .

ولكنّه مات سنة 1515م ، قبل تحقيق أمانيه وأحقاده الصليبيّة . وهذا ما يحاول أبناء جلدته في أوروبة وأمريكا تنفيذه في عصرنا الحاضر .

من أقــوال كبــار رجــال الفكر والسياسة في النبيّ محمد

هذه شهادات لبعض المنصفين من رجالات الشرق والغرب .

 لا يمكن معرفة شخصيّة محمد ـ ـ بكلّ جوانبها . ولكن كلّ ما في اسـتطاعتي أن أقدّمه هو نبــذة عن حياته من صــور متتابعة جميلة . فهنــاك محمد النــبيّ ، ومحمد المحـــارب ، ومحمد رجل الأعمـــال ، ومحمد المصـــلح ، ومحمد ملاذ اليتامى ، وحـامي العبيد ، ومحمد محـرر النسـاء ، ومحمد القاضي ... كـلّ هـذه الأدوار الرائعة في كـــلّ دروب الحيـــاة الإنســـانيّة تؤهّله لأن يكـــون بطلا .] البروفسور **رما كريشنا راو** في كتابه : محمد النبيّ . [.

 محمد ـ ـ نبيّ حقيقيّ بمعـنى الكلمة ، ولا يمكننا إنكـار أنّ محمّـدا هو المرشد القائد إلى طريق النجاة .] الدكتور **هانز كونج** / عالِم اللاهوت السويسري[.

 أعظم حدث في حياتي ، هو : أنني درستُ حياة رسول الله محمد ـ ـ دراسة وافية ، وأدركتُ ما فيها من عظمة وخلود .] الشاعر الفرنسي **لامارتين**[.

 جدير بكلّ ذي عقل أن يعترف بنبـوّة محمد ــ ـ وأنّه رسـول من السـماء إلى الأرض .] **كارل ماركس**[.

 إنّ محمدا ــ ـ نـبيّ المسـلمين لُقّبَ بـالأمين منذ الصِـغر بإجمـاع أهل بلـده ، لِشرف أخلاقه وحُسْن سلوكه . ومهما يكن من أمر ؛ فإنّ محمدا أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ، ولا يعرفه من جهله ، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد . ذلك التاريخ الذي ترك محمدا ـ ـ في طليعة الرسل ومُفَكّري العالم .] السير الإنكليزي **موير** [.

 إنّ العالَمَ أحوج ما يكون إلى رجُلٍ في تفكير محمد ـ ـ . هذا النبيّ الذي وضَعَ دينَه دائماً موضع الاحترام والإجلال ، فإنّه أقوى دِيْنٍ على هضم جميع المـدَنِيّات . ويتـابع : لقد كـانوا يعتبرونه عـدُوّا للمسـيحيّة ، لكنـني اطلعتُ على أمر هـذا الرجل ، فوجدته أُعجوبة خارقة ، وتوصلتُ إلى أنّه لم يكن عدُوّا للمسيحيّة ، بل

؛ يجب أن يُسمّى مُنْقِذا للبشريّة . وفي رأيي ـ والكلام لبرناردشو ـ أنّه لو تَـوَلّى أمر العالَم اليوم ، لوُفِّقَ في حلّ مشكلاتنا بما يُؤَمّن السلام والسعادة التي يرنو إليها البشر .] **برناردشو**/ في كتابه : محمد . هــذا الكتــاب الــذي منعت الســلطات البريطانيّة تداوله ، وصادرته وأحرقته.[.

بحثتُ في التـاريخ عن مثـلٍ أعلى لهـذا الإنسـان ، فوجدْتُـهُ في النـبيّ العـربيّ محمد ـ ـ .] شاعر الألمان : **غوته** [.

أردتُ أن أعرفَ صفات الرجل الذي يملك بـدون نـزاع قلـوب ملايين البشر ... كان ذلك من خلال بساطة الرسول محمد ــ ـ مع دقّته وصـدقه في الوعـود ، وتفانيه وإخلاصه لأتباعه ، وشـجاعته ، مع ثقته المطلقة في ربّه وفي رسـالته ، هـذه الصـفات الـتي مَهَّدت الطريـقَ ، وتَخَطّت المصـاعب ، وليس السـيف .] **مهاتما غاندي** في حديث لجريدة : ينج إنديا[.

إننا لم نُنْصِـف محمداً ــ ـ إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصــفات ، وحميد المزايا . فلقد خــاض محمــدٌ ـــ ـ معركة الحيــاة الصــحيحة في وجه الجهل والهمجيّة ، مُصِرّا على مبدئه ، وما زال يُحاربُ الطغاةَ حـتى انتهى به المطـاف إلى النصر المُبيْن ، فإصبحت شريعتُه أعظم الشرائع ، وهو فوق عظماء التاريخ .] أستاذ اللغات السامية / سنرستن الأسوجي ، في كتابه : تاريخ حياة محمد .[.

إنّ اختياري مُحمّدا ـ ـ ليكون الأوّل في أهمّ وأعظم رجـال التـاريخ قد يُـدْهش القُــرّاء ، ولكنّه الرجل الوحيد في التــاريخ كلّه الــذي نجح على المســتويين : الدِيْنيّ والدُنْيَويّ ... ولكنّ محمدا هو الوحيد الذي أتمّ رسالته الدينيّة ، وتحــددت أحكامها ، وآمنت بها شـعوب بأسـرها في حياته . ولأنّه أقـام جـانب الـدين دولة جديدة ، فإنّه في هذا المجال الدُنيويّ أيضا وَحَّدَ القبائلَ في شَـعْبٍ ، والشـعوبَ في أُمّة ، ووضع لها كـلَّ أسس حياتها .] **مايكل هـارت** / في كتابه : مئة رَجُـلٍ في التاريخ .[.

(الفقرة مقتبسة ـ بتصرف ـ من مجلة : الفرقان / جمعية المحافظة على القرآن الكريم / العدد الحادي والخمسون ، ومن جريدة : الظلال / الجامعة الهاشميّة / العدد الأول .) .

متفرقات / من هديه

عن أبي هريــرة عن رســول الله قــال : " **لا يُشِــرْ أحــدُكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنّه لا يـدري لعـلَّ الشـيطانَ ينْـزِعُ في يـده ، فيقـعَ في**

حفـرة من النـار " . متفق عليه . (يـنزع : يـرمي . يظهر أثر تطـبيق هـذا الحـديث العظيم في الوقت الحاضر ، حيث تكثر أخطار حمل السلاح وشهره) .

عن أبي سعيد عبد الله بن مُغَفَّلٍ قال : نَهى رسولُ الله عن الحَذْفِ وقال : " إنّهُ لا يقْتُلُ الصَيْدَ ، ولا يَنْكَأُ العَـدُوَّ ، وإنّـهُ يَفْقَـأُ العينَ ويَكْسِـرُ السِـنَّ " . متفق عليه . (الحذف : رمي الحصى بالسبابة والإبهام) .

عن أبي هريرة قال : " كان رسول الله إذا عَطَسَ وضـعَ يـدَهُ أو ثوبَه على فيْـــهِ ، وخَفَضَ – أو غضَّ – بها صـــوته ..." . رواه أبو داود والترمـــذي . (فضلا عن مراعـاة الـذوق الرفيع ، يظهر الأثر العظيم لمثل هـذا الحـديث في زماننا ، حيث اكتُشِـف التلوّث البيئي والصحّي بسبب الميكروبات والجراثيم والفيروسات ، ممّا يتســبب في نقل الأمراض) .

عن ابن عبّـاس رضي الله عنهما أنّ النــبيّ نَهَى أنْ يُتَنَفَّسَ في الإنــاء أو يُنْفَخَ فيه . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

نهى من أكل بصلا أو ثوما أن يقرب المسجد . عن جابر قال : قال النـبي : " **منْ أكلَ ثُوماً أو بَصَلا فَلْيَعْتَزِلْنا ، أو فَلْيَعْتَزِلْ مسجِدَنا** " . متفق عليه . وفي رواية لمسـلم : " **من أكل البَصَـلَ ، والثُّومَ ، والكُـرَّاثَ فلا يَقْـرَبَنَّ مسْجِدَنا ، فـإنَّ الملائكة تَتَـأذَّى ممَّا يتـأذّى منه بنو آدمَ** " . **(ولعـلّ ما يوجد من رائحة بعض المدخنين ما هو أخبث من رائحة البصل والثوم)** .

عن أبي موسى قال : قال رسول الله : " **ألا أدُلُّكَ على كَنْـزٍ من كُنُـوز الجنّة** ؟ " فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : " **لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاّ بالله** " . متفق عليه .

عن أبي قَتَـادَةَ ، قـال : ســمعتُ رســول الله يقــول : " **الرُؤْيا من الله ، والحُلْمُ من الشـيطان ، فـإذا حَلَمَ أحـدُكُم حُلْما يكْرَهُـهُ فلْيَنْفُثْ عن يساره ثلاثا ، ولْيَتَعَوَّذْ بالله من شَرِّها** " . رواه مسلم .

عن أبي هريــرة عن النــبيّ قــال : " **إذا اقــترب الزمــانُ لمْ تَكَـدْ رؤيا المُسْلِم تَكْذِبُ ، وأصْدَقُكُم رؤيا أصدقكم حديثا ، ورُؤْيا المسلم جُـزْء من خمس وأربعين جُزْءا من النبوّة** ... " . رواه مسلم .

وعنه : قـال رســول الله : " **مَنْ رآني في المَنَـام فقد رآني ، فـإنَّ الشيطانَ لا يَتَمَثَّلُ بي** " . رواه مسلم .

فضل الصلاة على النبيّ ﷺ

قـــال الله عز وجـــلّ في محكم التنزيل : ﴿إنّ الله وملائكته يُصَـــلّون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ . الأحزاب : 56 .

- عن عبـدِ الله بن عمـرو بن العـاص رضي الله عنهما أنّه سَـمِعَ رسـولَ الله ﷺ يقول : " **إذا سَمِعْتُمُ النِـدَاءَ فقولـوا مثـلَ ما يقـولُ ، ثمَّ صَـلُّوا عَلَيَّ ، فإنّه مَنْ صَلّى عَلَيَّ صلاةً صلى اللهُ عليه بها عَشْرَا ، ثمّ سـلوا اللـهَ ليَ الوَسِيْلَةَ ، فإنّها مَنْزِلَةٌ في الجنّة لا تنبغي إلاّ لِعَبْدٍ مِنْ عبـاد الله ، وأرجو أن أكـــونَ أنا هو ، فَمَنْ ســأل لِيَ الوَسِـــيْلَةَ حَلَّتْ لَـــهُ الشَفَاعَةَ** " . رواه مسلم . (النداء : الأذان) .
- وعن جابرٍ ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال : " **مَنْ قالَ حينَ يَسْمَعُ النداءَ : اللهمَّ رَبَّ هذه الـدعْوَةِ التامّـةِ ، والصـلاةِ القائِمَـةِ ، آتِ مُحَمّـدا الوَسِـيْلَةَ ، والفَضِيْلَةَ ، وابعثه مقاما محمـودا الـذي وَعَدْتَـهُ ، حَلَّت له شـفاعَتِيْ يومَ القيامة** " . رواه البخاري .
- فالصـــلاة من الله تعـــالى معناها الرحمة وزيـــادة الإحســـان ؛ ومن الملائكة الاستغفار ؛ ومن البَشَرِ الدّعاء .
- ويسـتفيد الرسـول ﷺ من الصـلاة عليه رفع الـدرجات ، والـترقي في مـراتب الكمال . والسُّنَّة أن يجمع بين الصلاة والسّلام عليه . وتكون الصـلاة على النـبيّ ﷺ بأيّة صيغة ، وأفضلها الصيغ الواردة .
- وقد امتدح الله جل جلاله عباده الذّاكرين . والصلاة على النـبي ﷺ من الـذِكر ؛ بل هي في أعلى درجاته . وتكون سـببا في تَـنزِّل الرَّحمـات ، ورفع الـدّرجات ، لمن يُصَلّي على النبيّ ﷺ . ففي الحديث : " **من صلَّى عليّ صلاةً صلى اللهُ عليـهِ بها عشـراً** " . رواه مســلم . وقد ذكرنا آنفا أنّ الصــلاة من الله تعــالى معناها الرحمة وزيادة الإحسان .
- أولى النّاس بالنبي ﷺ وأخصّهم به ، وأقربهم منه ، وأحقّهم بشفاعته ، وأعلاهم منزلة : أكثرهم عليه صلاة في الدنيا . فقد قال رسول الله ﷺ : " **أَوْلَى النّـاسِ بي يومَ القيامة أكْثَرُهُمْ عليَّ صلاةً** " . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .
- كثرة ذِكرِك للنبي ﷺ يزيد من حُبِّك له ، ودليلٌ عليه .
- الصلاة على النبي ﷺ تجعل صاحبها مُكَرَّماً ، حيث قال النـــبي ﷺ : " **رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكرتُ عنده فَلَمْ يُصلِّ عليَّ** " . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

 إنّ تـرك الصـلاة على النـبي عنـوان الشـحّ ، ودليل خبث النّفس ، وسـوء الطوِّية .

قال رسول الله : " **البخيلُ مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يُصلّ عليّ** " . رواه الترمـذي وقال : حديث حسن صحيح . فالرسول يسـتحق الصلاة عليه كلما ذُكر اسـمه كتابة أو صوتا ، لما له على الأمة من فضل ، لأنه كان سبب سـعادتهم في دنيـاهم وأخـراهم . ويُندب ذلك لمن ذَكَرَ النـبيّ أو سَـمِع اسـمه أو قَـرَأه أو كَتَبَه . وذَهَب بعضُ العلمـاء إلى وجوبه .

 ولا شك أن هنـــاك فوائد عظيمة ، ومزايا جليلة ، للصـــلاة على ، من أراد المزيد منها فليرجع إليها في مظانّها ، ككتاب : الأذكار للإمام النّـووي رحمه الله تعالى .

وفاة النبيّ

يقول الله في محكم التنزيل : وما محمدٌ إلاّ رسولٌ قدْ خَلَتْ منْ قَبْلِـهِ الرُسُلُ أفَـإنْ مـاتَ أوْ قُتِـلَ انْقَلَبْتُمْ على أعْقَـابِكُمْ ومنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْـهِ فلنْ يَضُرَّ اللهَ شيئًا وسَيَجْزِي اللهُ الشاكِرِيْن . آل عمران : 144 .

عن أنس بن مالك (خـادم النـبيّ) قـال : لمّا وَجَـدَ رسـولُ الله مِنْ كَـرْبِ الموتِ ما وَجَدَ ، قالت فاطمةُ (بنت النبيّ) رضي الله عنها : واكَرْبَاه ، فقال النبيُّ : " **لا كَرْبَ عَلَى أَبِيْكِ بَعْدَ اليومِ ، إنّهُ قـدْ حَضَـرَ منْ أبيـكِ ما ليسَ بتـارِكٍ منهُ أحداً ، المُوَافَاةُ يومَ القيامة** " . رواه البخاري ، وابن ماجه .

عن أمّ المؤمـنين الصِـدِّيقة بنت الصِـدِّيق عائشة (زوج النـبيّ) رضي الله عنها وعن أبيها قالت : تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ يومَ الاثنين . رواه البخاري وأحمد .

وعنها رضي الله عنهما : أنَّ أبا بكْرٍ ــ **رضي الله عنه** ــ قَبَّلَ النـبيَّ بَعْـدَما مـاتَ . رواه البخاري ، والنسائي ، والترمذي ، وابن ماجه .

وعنها رضي الله عنها : أنَّ أبا بكْرٍ ـ **رضي الله عنه** ـ دَخَلَ على النبيِّ بَعْـدَ وَفاتِه ، فَوَضَـعَ فَمَـهُ بيْنَ عَيْنَيْـهِ ، ووَضَـعَ يَدَيْه على سـاعِدَيْه ، وقـال : وانَبِيَّاهُ ! واصَـفِيَّاهُ ! واخَلِيْلاهُ ! . رواه أحمد .

وعنها رضي الله عنها قالت : لمّا قُبِضَ رسول الله اخْتَلَفُوا في دَفْنِه ، فقال أبو بكر : سَمِعْتُ مِنْ رسولِ الله شـيئا ما نَسـيْتُهُ ، قـال : " **ما قَبَضَ اللهُ نبيّا إلاّ**

في الموضِعِ الذي يُحِبُّ أنْ يُدْفَنَ فيه " ادْفِنُـوْهُ في موضع فِرَاشِـه . الترمـذي .
(وقد تُوُفِّيَ ودُفِنَ في حجرة عائشة رضي الله عنها .) .

وعن ابن عبّاس (ابن عمّ النـبيّ) رضي الله عنهما ، قـال : مَكَثَ النـبيُّ بمكّـةَ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوْحَى إليهِ ، وبالمدينة عَشْرَاً ، وتُـوُفِّيَ وهو ابن ثلاثٍ وسـتِّيْنَ . رواه البخاري ومسلم والترمذي .

عن أنس بن مالك (خادم النبيّ) قال : لمّا كان اليومُ الذي دخل فيه رسـولُ الله المدينةَ ، أضاء منها كلُّ شيء ، فلما كان اليـوم الـذي مـات فيه أظلم منها كل شـيء ، وما نفضـنا أيْـدِيَنَا من الـتراب ، وإنّا لَفِي دفنه ، حـتى أنكرنا قلوبَنَا . رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وأحمد . (أنكرنا قلوبنا : أي تغيّرت حالها بوفاة النـبيّ ولم تَبـقَ على ما كانت عليه من الرِقّة والصفاء ، لانقطاع الوحي وبركة الصُحْبة) .

والآن ، إلى مشهد من مشاهد حبّ الصـحابة ــ **رضي الله تعـالى عنهم** ــ للنـبيّ ، وتأثرهم بموته ، وحزنهم لفراقه .

أُمِّ أَيْمَنَ بَرَكةُ الحَبَشِيَّةُ (والدة الحِبّ ابن الحِبّ : أسامة بن زيد رضي الله عنهما)

مـولاةُ رسـول الله وحاضِـنَته . كـانت مملوكة لآمنة بنت وهب (أم النـبي) ، فَرَبَّته في حياتها ، وحَضَنَته بعد وفاتها ، ففتح عينيه على الدنيا ؛ وهو لا يعرف لِنَفْسِـه أمّاً غَيْرَها .

فأحّبَّها أعْمَقَ الحبّ وأَصدَقه ، وكثيراً ما كان يقـولُ : هيَ أُمّي بعـدَ أمّي ، وبَقِيّـةُ أهْـلِ بيـتي . وهي أكـثر من تمتّع برؤية النـبي منذ ولادته حتّى انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

أسـلمت أمّ أيمن مبكـراً ، وكـانت من أوائل المهـاجرات إلى المدينة المنـوّرة ، وأوّل مهاجرة تهاجر بمفردها ، وعلى قدميها .

عاشت المؤمنة الصابرة في المدينة قريبة من النبي قريـرة العين ، وشـاركت في بعض غزواته ، وكانت يوم أُحُد تَسقي المـاء ، وتـداوي الجـرحى .. وأمـدّ الله في عمرها حتّى شـهدت وفـاة النـبيّ ؛ فبكته بكـاء الأمّ الثكلى ، وحـزِنت عليه حزنـاً لا تطيقه إلاّ قلوب المؤمنين الصابرين . كيف لا !، وهي الـتي لم تعُد تطيق فراقه ، ولا تقـرّ لها عينٌ ، ولا يهـدأ لها بـال ، حتّى تـأنس به ، وتسـعد بقربه .. فقد كـان النـبي يزورها في حياته بين حين وحين .

فلمّا كان بعد وفاة النـبي قـال أبو بكر لعمر ــ **رضي الله عنهما** ــ انطلق نَـزُرْ أمّ أيمن ، كما كـان النـبي يزورها .. فلمّا دخلا عليها بَكَت ... فقـالا : ما يُبكيك ! فما عند الله خـير

لرسوله ! قالت :
أبكي أنّ وَحْيَ السماء انقطع !؛ فهَيَّجَتْهُما على البكاء ... فجعلت تبكي ويبكيان معها .

ولمّا قُتِل عمر ، بَكَتْ ، فقيل لها ، فقـالت : اليـوم وهَى الإسـلام . ومـاتت بعد عُمرَ بقليل .

رضي الله عن الصحابيّة الجليلة المؤمنة المهاجرة ، بركة : أمّ أيمن .

خاتمة

إنما أردت في هذه الدراسة ؛ الإشارة السريعة لبعض الجوانب من عظمة هذا النبيّ العظيم ، وخِدمة لجنابه الكريم . وأن تكون مشعل هدى ، ودليل خير ، لمن أراد التأسّي بذلك النبيّ العظيم .

فلْنقرأ بتفكّر وتدبّر واعتبار ، ولْنعمل بما علمنا ... فإنّه من عَمِلَ بما عَلِمَ ؛ أورثه اللهُ عِلْمَ ما لم يعلم .

ألا وإنّ خير طريقة لنصرة مقام ذلك النبيّ العظيم ؛ أن يكون الرسول قدوة لنا في حياتنا ، في أقوالنا وأفعالنا جميعا .

ومن أراد المزيد والتوسّع فليرجع إلى الكتب التي تتحدث بإسهاب عن ذلك الموضوع .

فمن أراد أن يعرف صفات هذا النبيّ العظيم الخَلْقِيّة ، كأنّما ينظر إليه ، فليقرأ كتاب : الشمائل المحمدية / للإمام أبي عيسى الترمذي .

ومن أراد معرفة هديه في : منامه واستيقاظه ، وأكله وشربه ، ودخوله وخروجه ، وسفره وإقامته ، وسلمه وحربه ، وفي شأنه كلّه ، فعليه بمثل : كتاب : زاد المعاد / لابن قيم الجوزية ، وكتاب : الأذكار / للإمام النووي .

ومن أراد الاطلاع على معجزاته الخالـدات الباقيـات ، فليطلع على كتب " دلائل النبوّة " لأيّ مُؤلِّف قديما أو حديثا .

هذا فضلا عن الكتب المذكورة في مراجع هذا البحث .

ربَّنا تَقَبَلْ منَّا إنّك أنتَ السميعُ العليم ، وعافنا واعفُ عنّا يا مولانا ، فإنّك أنت العفُوّ الجواد الكريم .

اللهمّ أحينا على سنّة حبيبك محمد ، وأمتنا على ملّته ، واحشرنا تحت لوائه وفي زمرته ، وأنلنا مرافقته وشفاعته ، واسقنا من يده الشريفة ومن حوضه شربة لا نظمأ بعدها أبدا ، بفضلك وجودك وكرمك يا ربّ العالمين .

وا إسلاماه
وا محمّداه

يا أمّة الإسلام أُوصيكم به   فالقَدْرُ عالٍ والمقامُ جليلُ
نزل الكتابُ مُصَرِّحا بثنائه   وكذلك التوراةُ والإنجيلُ

أحزان قلبي لا	حتى أُبشّر
تزول وأرى	بالقبول وتقرّ
كتابي باليمين	عيني بالرسول

وبعد :

لقد حباه مولاه بالصفات الكاملات ، وأيّده بالمعجزات الباقيات الخالدات ، وبالإخبار عن المغيّبات ، ورضيه خاتما لجميع الرسالات ، وكان داعيا إلى الحقّ من العقائد والعبادات وأنظمة الحياة ، وإلى الفُضلَيات من الأخلاق الكاملات ، وجاء نذيرا للعالمين وبالبشريات ، وأرشدنا إلى طرق الخيرات المُنجيات ، وحذّرنا من المساوئ والمهلكات .

اللهم صــلِّ وســلّم وبــارك عليه ، ما أنت أهله ، وما هو أهل له ، وعلى آل بيته الأطهار ، وصحابته الأخيار ، ومن تبعهم بإحسان ما توالى الليل والنهار .

اللهمّ صلِّ وسلم وبارك عليه ، واجعله شفيعا لمن يصلي عليه .

والحمد لله ربّ العالمين .

المراجع

القرآن الكريم .

الأصول الثلاثة – الرسول / سعيد حوى .

الرحيق المختوم / صفي الرحمن المباركفوري .
السيرة النبوية / ابن هشام .
الشمائل المحمدية / الإمام أبو عيسى الترمذي .
الفرقـان / مجلة شـهرية تصـدر عن جمعية المحافظة على القـرآن الكـريم ــ الأردن . **العدد الحادي والخمسون** .
الكـواكب الدُريّة في السـيرة النُوريّة (تـاريخ السـلطان نـور الـدين محمـود بن زنكي) / بدرالدين ابن قاضي شهبة .
المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين الأبشيهي .
جمع الأحـــاديث الأربعين في الصـــلاة والســـلام على النـــبيّ الأمين / د . محمد شـــكور المياديني .
دلائل النبوّة / د . عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر .
رسالة المسجد العسكرية / محمود شيت خطاب .
صور من حياة الصحابة / عبد الرحمن رأفت الباشا .
عبقرية محمد / عباس محمود العقاد .
فقه السيرة النبويّة / د . محمد سعيد رمضان البوطي .
في ظلال القرآن / سيّد قطب .
محمد رسول الله / د . منير البياتي .
مختصر تفسير ابن كثير
نزهة المتقين ـ شرح رياض الصالحين / د . مصطفى الخِن ، وآخرون .